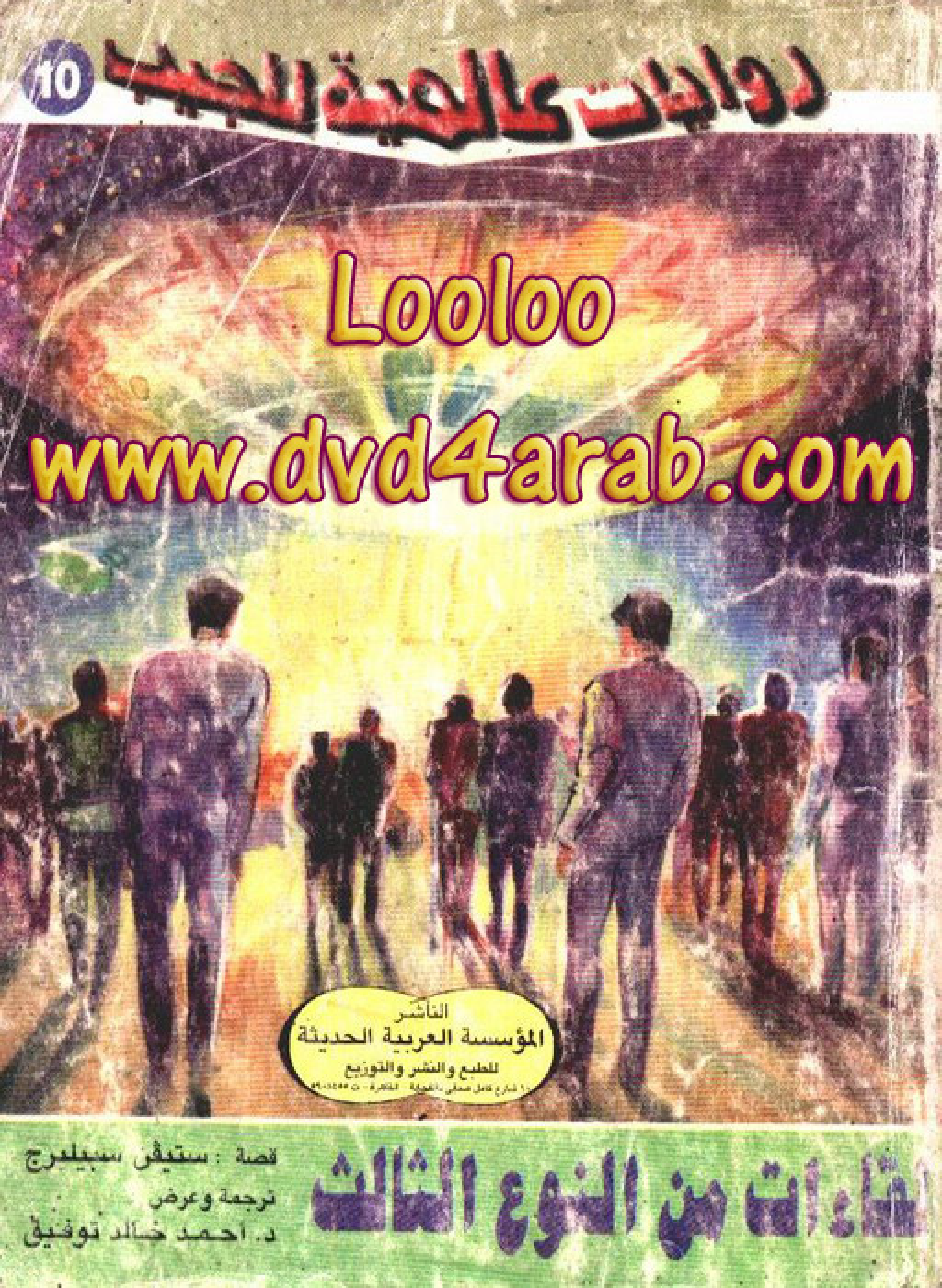


روايات عالمية للجيب
10
Looloo
www.dvd4arab.com
الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع
لقاءات من النوع الثالث
قصة : ستيفن سبيلبرج
ترجمة وعرض
د. أحمد خالد توفيق

روايات عالمية للجيب

سلسلة جديدة ، تقدّم لك أروع ما يزخر به الأدب العالمى ، فى مختلف صنوفه ..

من الألغاز البوليسية إلى الرواية الرومانسية ..

من عالم المغامرات إلى آفاق الخيال ..

من الفروسية إلى دنيا الأساطير ..

ومن الشرق إلى الغرب ..

وإلى الحضارة ..

وإليك ..

د. نبيل فاروق

المـؤلف

(ستيفن سبيلبرج) هو واحد ممن يسمونهم جيل (العيال) فى السينما الأمريكية .. فهو مخرج سينمائى تشيكى الأصل قدم لصناعة السينما أكبر مجموعة من الأفلام المصورة التى اكتسحت دور العرض وحققت أرباحًا مذهلة ..

كلنا نعرف فيلمه الثالث (فكّان) ـ عُرِض باسم (الفك المفترس) ـ عن قصة الأديب الأمريكى (بيتر بنشلى) ، والذى يحكى عن عملية صيد القرش الأبيض العظيم الذى هاجم قرية (أميتى) الساحلية . لقد حقق الفيلم نجاحًا مذهلًا برغم أن مخرجه لم يكن قد تجاوز السادسة والعشرين من العمر ..! ولهذا استحق لقبه كـ (طفل هوليود المعجزة) ..

ومن لحظتها بدأ الانطلاق الصاروخى لهذا المخرج الذى قدم لنا العديد من الأفلام المبهرة ذات التكاليف الضخمة والتى تحصد شباك التذاكر حصدًا ..

ومن هذه الأفلام نذكر على سبيل المثال لا الحصر :

- (لقاءات من النوع الثالث) : وهى القصة التى نقدمها لك الآن .
- (١٩٤١) : عن الفوضى الهستيرية التى اجتاحت (أمريكا) إزاء احتمال حدوث غزو يابانى ، والفيلم من النوع الساخر .
- (إى ـ تى) : عن مخلوق الفضاء الوادع الذى ينساه قومه على كوكب الأرض ، فينجح بمعونة بعض الأطفال فى الفرار من عالم الكبار المتوحش لأنه هو نفسه مجرد طفل فضائى .
- (اللون القرمزى) : محاولة من المخرج للابتعاد عن أفلام الإبهار والمؤثرات لتقديم قصة إنسانية عن صديقتين زنجيتين . للأسف لم ينل الفيلم نجاحًا برغم التفوق التكنيكى للمخرج وجودة الموضوع .
- (الفضاء الداخلى) : عن رحلة داخل الجسم البشرى .
- (إمبراطورية الشمس) : القصة المثيرة عن طفل أمريكى يعيش مع أسرته فى اليابان وقت الحرب .
- (حديقة جوراسيك) : ويدور حول تجربة علمية مثيرة لمحاولة إعادة إحياء الديناصورات عن طريق الهندسة الوراثية .

- (قائمه شندلر) : الفيلم الذى حصد جوائز الأوسكار وهزّ العالم كله حول رجل الأعمال الألمانى الذى ساند اليهود أيام اضطهاد النازى لهم . والفيلم لن يعرض فى (مصر) غالبًا .
- سلسلة أفلام عالم الآثار (إنديانا جونس) : وهى ثلاثة حتى الآن .

هذا بالطبع إلى جانب حشد من الأفلام التى أنتجها أو شارك فى فكرتها أو صمم رسومها ، مثل (حرب الكواكب) ـ أخرجه صديق عمره (جورج لوكاس) ـ و (بولترجايست) و (عائدًا للمستقبل) و (من ورّط الأرنب [روجر] ؟) .. إلخ .

كما أن له دورًا كبيرًا فى تمويل عبقرى السينما اليابانى المُحبَط (أكيرا كيروساوا) لتقديم تحفته العظيمة (ظل المحارب) .

إن (ستيفن سبيلبرج) هو ابن هذا القرن ، وُلد لأب خبير كمبيوتر وأم راقصة باليه ، لهذا جاء هو نفسه مزيجًا فريدًا من العلم والفن .. كما أنه تلميذ مخلص للقصص المصورة ، ولم يزلْ يحاول أن يقدم عالم الطفولة الخيالى

الرائع على الشاشة بالألوان وبإمكانيات السينما الأمريكية .. وقد نجح فى هذا إلى حدّ كبير ..

يقول النقاد إن (ستيفن سبيلبرج) مسلٍ إلى أقصى حدّ لكنه يفتقر إلى العمق ..

ولعل هذه هى النقطة التى آذت كبرياءه ودفعته إلى تقديم (إمبراطورية الشمس) و (اللون القرمزى) .. لكن الفيلمين جاءا أسوأ أفلامه .. ولعل هذا دليل كاف على أنه لا يبدع إلا حين يقدم ما يحبه ..

وعلى كل حال نحن لم نر فيلمه الإنسانى (قائمة شندلر) ، لكنه يقول إنه قدمه حين شعر (أنه نضج بما يكفى لتقديمه) ، ولعل هذا الفيلم يضع (سبيلبرج) فى قائمة المخرجين الإنسانيين العظام بعد ما وضع هو اسمه للأبد فى قائمة مخرجى الإمتاع والأفلام الملونة .

★ ★ ★

القصة التى بين يديك الآن نموذج فريد للأدب السينمائى .. فهى إعادة سرد للفيلم بأسلوب قصصى جيد يدلّ على موهبة أدبية واضحة لدى المخرج الأمريكى (ستيفن سبيلبرج) ..

لكن أساس هذه القصة ليس خياليًا على الإطلاق ..

ويؤكد د. (ت . ألن هاينك) مدير مركز دراسات الأجسام الطائرة غير المعروفة - والتى يختصرها الأمريكان بلفظة (UFO)(*) - أن هناك أكثر من عشرة آلاف حالة تمت فيها لقاءات فعلية مع راكبى الأجسام الطائرة غير المعروفة . وهذه اللقاءات هى ما يسمونها بـ (لقاءات النوع الثالث) ..

ويقول د. (هاينك) إن اللقاءات الحميمة من النوع الأول هى التى يُشاهد فيها جسم طائر غير معروف .. أما النوع الثانى فيترك الجسم الطائر فيه أثرًا واضحًا للعيان كجزء محترق من الأرض أو أعشاب متفحمة أو غصون أشجار مهشمة .. أو تكف الأبقار عن إدرار اللبن لعدة أيام .. أو تتعطل السيارات دونما سبب لمدة ساعتين أو أكثر ..

وهذا النوع من اللقاءات له مزية هامة .. إذ هو يتيح لنا نقل الجسم الطائر إلى المعمل حيث تتم دراسة آثاره وتمحيصها ..

ويحتفظ مركز دراسات الـ (UFO) فى (إيفانستون) بولاية (إيلينوى) بمئات من بقايا هذه اللقاءات من النوع الثانى ..

(★) (Unidentified Flying Object) .

إن (ستيفن سبيلبرج) يؤمن بأن الحكومات لا تصارح شعوبها بكل ما تعرفه عن الـ (UFO) ، ويؤمن بأن هناك لقاءً مؤكدًا بين البشر والكائنات الفضائية سيحدث حتمًا (ما لم يكن قد حدث فعلًا دون علمنا !) ..

بقى أن نعرف أن فيلم (لقاءات من النوع الثالث) هو من إخراج (ستيفن سبيلبرج) ، وبطولة (رتشارد درايفوس) و (فرانسوا تريفو) ـ المخرج الفرنسى العظيم الذى يؤمن بهذه الأشياء كثيرًا ـ وتصوير (فيلموس زيجموند) وموسيقا (جون وليامز) ومؤثرات خاصة (دوجلاس ترومبل) ..

ولقد أحيطت الخدع المستعملة فى الفيلم بسرية وكتمان شديدين ، ولم يزل بعضها مجهولًا حتى لخبراء المؤثرات الخاصة ، لأن الفيلم معقد جدًا تكنيكيًا ، خاصة فى مشهد هبوط الطبق الطائر فى النهاية ..

والآن ..

تعالوا ندر آلة عرضنا الوهمية لنشاهد الفيلم سويًا ..

د. أحمد خالد توفيق

« لو كان كل شىء علـى ما يُـرام فى الجـانب المظلم من القمر .. اعزفوا النغمات الخمس .. »

١ ـ أشياء غريبة تحدث ..

مدينة (سونويتا) شمال (المكسيك) .. العام ١٩٧٣ ..

العواصف الرملية تهبّ فى جنون حاجبة الرؤية تمامًا ، وقرص الشمس يعلن أنه وقت الظهيرة ، لكنه أحمر بلون الدم ..

ثلاثة من رجال الشرطة يتقدمون عبر الرمال نحو رجل يرتدى منظارًا أسود ويرفع إلى أنفه كمامة ليقى نفسه حبات الرمل المتطايرة ..

ـ هل نحن أول من وصل ؟ .

سألهم الرجل بلهجة أسبانية راقية وهو يسعل ، فأشار أحد رجال الشرطة نحو الجنوب حيث وقفت مجموعة أخرى من المستكشفين ، وسرعان ما انضمت المجموعتان إلى بعضهما .. وبدأ التعارف .. فالمصافحات ..

وتساءل أحدهم :

ـ هل المترجم الفرنسى معكم ؟

هتف (لوفلين) محاولًا أن يعلو صوته فوق صوت الرياح :

ـ أنا أجيد الفرنسية ياسيدى لكن الترجمة ليست مهنتى .. أنا رسام خرائط .. أساسًا رسام خرائط ..

وهنا برز رجل من بين الرمال ومدّ يده إلى (لوفلين) ، مستعملًا إنجليزية مهشمة هى أقرب إلى الفرنسية :

ـ إذن فأنت مسيو .. (لوج) ـ أو ـ (لاين) .. ؟!

ـ (لوفلين) يا سيدى .. إسمى (لوفلين) ..

ـ باردون يا سيدى .. أستميحك عذرًا ..

كان الفرنسى هو (لاكومب) الرجل المنتظر .. ولما كان الحشد يتحرق شوقًا لرؤية ما جاءوا من أجله .. فإن (لاكومب) أنهى طقوس التعارف وتقدمهم إلى الهدف الذى قطعوا كل هذه المسافة ليروه ..

وعلى البعد كان رجال الشرطة المكسيكيون واقفين يتصايحون ويشيرون إلى شىء ما ، بينما سرعة الرياح تتجاوز خمسة وأربعين ميلًا فى الساعة ، كان هذا الشىء ـ وسط الرمال ـ يشبه ذبابة واقفة فاردة جناحيها .. إن ما سمعوه منذ أربع وعشرين ساعة قد غدا حقيقة واقعة يرونها بأعينهم ..

هذا الشىء ـ وستة أشياء مماثلة تقف خلفه ـ هو طائرة مقاتلة واقفة وسط الرمال .. بالتحديد قاذفة طوربيد خاصة بالبحرية الأمريكية من أيام الحرب العالمية الثانية ..

وقف الجمع صامتًا يرمق المشهد .. وفى خشوع نزع (لاكومب) منظاره وإن لم يبد عليه الاهتمام أو أى ردّ فعل إيجابى .. وجهه الطفولى تشوهه تجعيدتان على جانبى الفم إزدادتا عمقًا الآن وهو يفكر فى الخطوة التالية .

إنه يأخذ شهيقًا عميقًا .. يمسح الرمال من على لسانه بظهر يده .. ينقل أول أمر له إلى (لوفلين) كى يترجمه للواقفين حولهم :

ـ أريد أرقام محركات الطائرات ..

وقبل أن تنتهى الجملة ، كان أربعون من طاقم المشروع يزحفون إلى الطائرات الجاثمة فوق الرمال ، يحلّون مسامير محركاتها ، ويتسلقون أجنحتها باحثين عن الأرقام المطلوبة .. وبيد مكسوة بالقفازات تمكن أحدهم من إخراج تقويم ملتصق تحت إحدى لوحات القيادة .. وهتف مناديًا العالم الفرنسى :

ـ سيد (لاكومب) !.. إن هذا التقويم يدلّ على أن الشهر كان (مايو) !

نظر (لاكومب) إلى (لوفلين) طالبًا الترجمة ، لكن قبل أن يقوم بها الأخير دوّى صوت الفنى مضيفًا :

ـ .. (مايو) عام ١٩٤٨ ..

ـ ليكن !.. تأكدوا مما إذا كانت الخزانات تحوى وقودًا ..

وهنا ارتفع صوت أحد الرجال يهتف فى دهشة :

- يا الله !.. إن هذه الطائرات بحالة جيدة حقًا .. خُذ عندك هذه الأرقام .. أ. ى. ٣٠٣٤٥٦٧ .. اللعنة !.. أ. ى. ٢٩٩٣٠٤٠٤ .. يا للسماء !.. أ. ى. ٣٣٥٤٤٥٣٦ ..

أمسك أحد الرجال بورقة دونت عليها بعض الأرقام ، وهتف فى ذهول :

- إنها نفس الأرقام التى لدينا .. وكذا أرقام الأجنحة ..

- وما هو رقم الرحلة ؟

- إنها الرحلة رقم (١٩) ..

هتف (لوفلين) وهو يضرب خاصرته بكفيه :

- الرحلة رقم (١٩) .. الفيلق الذى أقلع من قاعدة (بنزاكولا) فى (فلوريدا) فى شهر (مايو) عام ١٩٤٨ .. ومنذ ذلك الحين لم يره بشر .. حتى هذه اللحظة ..! فهل هذا ممكن ؟

ولكن أين ذهب الطيارون ؟.. لا أحد يملك الجواب .

وهنا سمع (لاكومب) ضوضاء آتية من الخلف حيث احتشد الضباط المكسيكيون حول رجل قصير القامة ترتسم على وجهه أمارات الهلع ، نظر (لاكومب) إلى (لوفلين) طالبًا عونه فى إسكات هذه الضجة .. لكن (لوفلين) اعتذر بأنه لا يتكلم الإسبانية ، وهنا صاح أحد الأمريكيين :

- يقولون إن هذا الرجل كان هنا من يومين حين رأى الشىء يحدث !

ولم يكن أحدهم يأمل فى أفضل من هذا ..

انحنى (لاكومب) على الرجل المذعور وتناول ذقنه بين أنامله فى رقة .

كان الرجل يولول .. لكن أسوأ ما فى الأمر هو اللون الأحمر الذى صبغ نصف وجهه كأسوأ حرق رآه (لاكومب) فى حياته ، حتى مع وجوه المكسيكيين المعتادة على قيظ الصحراء ..

أما عن سروال الرجل فكان مبتلًا !.. لقد بلّل نفسه لا شعوريًا ومن الواضح أنه مستمر بنجاح فى ذلك ..

ها هو ذا يحاول أن يقول شيئًا .. بصعوبة ..

تساءل (لاكومب) فى لهفة :

- هيه .. ماذا يقول بالضبط ؟

لم يردّ (لوفلين) .. وتكفل الأمريكى الذى يفهم الإسبانية بإعادة السؤال للرجل .. لكن الرجل كرر نفس الكلمة وتهافت على الأرض ..

صاح (لاكومب) نافد الصبر :

- ماذا قال لك ؟.. أجب ..!

رفع الأمريكى حاجبيه فى حيرة .. وأطلق تنهيدة .. ثم همس:

- يقول إن الشمس أشرقت ليلة أمس .. وإنها غنت له أغنية !

★ ★ ★

قضى الطفل (بارى جيلر) ـ ذو الأربع السنوات ـ ليلة نابغية لم يستطع النوم فيها ..

ثمة صوت أزيز آتٍ من مكان ما فى الحجرة .. وفجأة .. التمع ضوء أحمر غامض ساقطًا فوق وجه (بارى) ففتح عينيه ..

وجوار فراشه تحركت دمية تمثل (فرانكنشتاين) محركة ذراعيها باستمرار ..

جال الطفل بعينيه فى الحجرة متفقدًا كل الألعاب ذوات البطاريات التى يملكها .. دبابة (شيرمان) .. عربة بوليس ذات قبة مضيئة .. كل هذه الألعاب كانت تتحرك وتصدر جلبة دون أن يمسسها بشر ..

ابتسم الطفل فى سعادة ، بينما جهاز (الفونوغراف) يدور تلقائيًا مصدرًا اللحن المميز لحلقات (شارع السمسم)(*) ..

ضحك (بارى) وهرع إلى النافذة المفتوحة يتأمل الليل ..

ثمة عواء كلب فى مكان قصى .. لكن الفناء الخلفى كان خاويًا ..

(★) فيما بعد كرر (سبيلبرج) هذا المشهد فى فيلم من إنتاجه هو (بولتر جايست) لكن سبب الحركة غير العادية للألعاب كان شبحًا فى هذه المرة .

تحرك الطفل ـ وقد امتلأ فضولًا ـ إلى الصالة قاصدًا غرفة المعيشة ، الغرفة المظلمة فيما عدا بعض أضواء خافتة ..

لكنه أحس أن شيئًا ما لم يكن كما اعتاده .. شيئًا ما لم يكن فى موضعه .. النوافذ ـ جميعًا ـ مفتوحة والستائر ترفرف فى هواء الحجرة .. أما الأغرب فهو أن الباب الأمامى للمنزل مفتوح .. كاشفًا عن الليل البهيم بالخارج ..

ومليئًا بالشغف شرع (بارى) يتشمم الهواء .. الهواء الذى يحمل رائحة البرق والرعود ، لكنه لم يكن قد سمع أية عواصف .. لو كانت هناك واحدة لسمعها لأنه لم ينم قط ..

• يا للروعة !.. كل نوافذ المطبخ مفتوحة كذلك يهب النسيم من خلالها .. والثلاجة مفتوحة تتكدس أكوام من زجاجات اللبن والمياه الغازية والزبد وبقايا العشاء أمامها ..

لكن ما أثار حيرته أكثر من أى شىء هو ......

تراجع للوراء فى ذعر .. ثم إنه ضحك فى خبث .. وبدأ يقهقه .. هى هى !.. لعبة جديدة !.. هى هى !.. تواثب على كعبيه كشمبانزى .. وراح يدور حول نفسه راسمًا أكثر التعبيرات إثارة للفزع على وجهه ..

بووو !.. بوووو !.. أنا لست خائفًا !



والآن تسمع صوت ضجيج الألعاب .. وفجأة ترى سيارة الشرطة الصغيرة تقتحم عليها الغرفة والأضواء الملونة تتراقص فى قبتها ..

كانت الأم (جيلان جيلر) نائمة فى فراشها تعانى كل الأعراض المروعة للانفلونزا .. ولقد اضطرها المرض إلى ترك منزلها الصغير فى أتعس حال ممكن .. ذلك المنزل المنعزل فوق هضبة من هضبات (إنديانا) .

وحين دخلت الريح إلى الحجرة ، وجدت أمامها أكوامًا من المناديل الورقية والأقراص الطبية وأصابع الزكام ونصف شطيرة وعلبة مياه غازية ..

وصحت (جيلان) فى تلك الحالة المألوفة التى تسببها الإنفلونزا ، منهكة لكنها عاجزة عن النوم ، تفكر لكنها لا تعرف فيم تفكر ، قادرة على فعل شىء ما لكنها لا تدرى ما هو ..

التلفاز مفتوح فلربما كان صوت الضحك الذى سمعته قادمًا منه ..

ولكن لا .. لقد عرفت مصدره ... إنه (بارى) !

والآن تسمع صوت ضجيج الألعاب .. وفجأة ترى سيارة الشرطة الصغيرة تقتحم عليها الغرفة والأضواء الملونة تتراقص فى قبتها ..

ومن خلفها الدبابة الـ (شيرمان) .. ثم (فرانكنشتاين) ..

وثبت (جيلان) من الفراش فانقضت سيارة الشرطة على أصابع قدميها ثم أخطأتها واصطدمت بالحائط ..

- بااااااري ؟!

صرخت منادية صغيرها .. لكنها لم تعد تسمع صوت ضحكاته ..

الساعة جوار الفراش تشير إلى العاشرة وأربعين دقيقة .. فماذا كان (باري) يفعل بحق السماء فى هذه الساعة ؟.. لا بد أنه فى الفراش منذ ساعتين ..

هرعت إلى فراشه فلم تجده ..

خرجت إلى الصالة فحجرة المعيشة باحثة عنه فلم تجده ..

لكنها تسمع صوت ضحكاته يخفت .. يخفت .. يخفت ..

غريب هذا !

كأن ضحكاته آتية من مكان ما فى الظلام خارج المنزل !..

صرخت بعنف أكثر منادية إياه .. ثم عطست ..

خرجت من الدار جارية فى الظلام .. مطاردة نقطة لا تراها لكنها تسمع ضحكاته آتية منها .. سقطت .. تعثرت .. واصلت الجرى ..

لكن الصوت يخفت .. ويخفت .. ويخفت ..

★ ★ ★

بصعوبة يمكنك أن تصدق أن هذا العالم - الذى تراه داخل مراكز المراقبة الجوية - هو عالم حقيقى ، وفى حالتنا هذه نحن فى مركز قريب من (إنديانا بوليس) هو كتلة من الخرسانة دفن نصفها تحت الأرض .. الأضواء بالداخل شاحبة خافتة تسمح لك بصعوبة أن ترى مكان الباب ..

لا نهار .. لا ليل .. فقط تلك الكآبة الصناعية وضوء (الرادار) الخافت المنذر بكارثة ..

وفى الداخل يعمل الرجال على إبقاء الطائرات سالمة طيلة عبورها - بسرعات أكثر من ستمائة ميل فى الساعة - فى سماء (إنديانا) ، وهو ما كانوا ينجحون غالبًا فى عمله ..

شرع (هارى كرين) يتنقل بين شاشات الرادار الست المضيئة ، وعلى رأسه سماعتا الاتصال تخرج منهما أنبوبة بلاستيكية ملتوية هى (الميكروفون) الذى ينقل كلماته إلى الطائرات المحلقة فوق رأسه ..

الرجال جالسون بقمصانهم البيضاء - دون ربطات عنق - وقد رفعوا أكمامهم إلى ما فوق الكوعين ، حين دوى صوت المكبر فوق رءوسهم :

- مركز المراقبة الجوية .. هل لديكم رحلات فى الاتجاه الشرقى ٣١ ؟

تأمل (هارى كرين) الشاشة أمامه .. لم تكن هنالك سوى ثلاث رحلات على الخارطة ، أمسك بالميكريفون .. وغمغم :

- الاتجاه ٣١ سلبى .. ليس لدىَ سوى طائـرة (TWA) عند الساعة السادسة على بعد خمسة عشر ميلًا من موقعك، وطائرة (DC - 9) عند الساعة الثانية عشرة على نفس المسافة ..

وضغط الزر ليتسع مجال شاشة (الرادار) .. وكانت النتيجة سلبية .. لا توجد سوى هاتين الطائرتين ..

وهنا دوّى صوت الطيار من مكبر الصوت :

- ثمة شىء ما فى الاتجاه ٣١ شرقًا .. الساعة الثانية .. خمسة أميال .. أعلى من الأفق قليلًا ..

وهنا انحنى أحد الرجال وتفحص الشاشة .. ثم أصدر همهمة مؤيدة ..

استدار (هارى) إلى رجل الاتصالات .. وأمره :

- اطلب وتأكد مما إذا كان هناك شىء ما ..

ثم إنه استدار ليخاطب قائد الطائرة :

- هل تستطيع تمييز نوع الطائرة ؟

ساد الصمت لبرهة ، فأدركوا أن الطيار يحاول جاهدًا أن يحسن أداء المهمة .. ثم سمعوا صوته يغمغم فى حيرة :

- سلبى !.. لا معالم خارجية .. إن الهدف يتألق بالأنوار .. ويبدّل ما بين اللون الأبيض والأحمر بشكل مؤذ للأبصار ..

بدا الذهول والاهتمام على الرجال .. وفى توتر جلس (هارى) على مقعده .. بعد هنيهة دوى صوت الطيار يواصل الكلام :

- إن الهدف يهبط .. هو على بعد ألف وخمسمائة قدم تحتى الآن .. انتظروا لحظة .. إننى أتجه لليمين تاركًا المستوى ٥٣ ..

صرخ (هارى) فى توتر موجهًا الأمر لرجل الاتصال :

- اطلب (رايت - باترسون) وانظر ما الذى يجربونه هناك بحق الجحيم ..!

ثم عاد إلى الشاشة يصغى إلى وصف مماثل أدلت به طائرة (TWA) عن جسم غريب يتحرك بسلاسة غير عادية وتنبعث منه الأضواء ..

كان المشرف على المركز قد دخل الغرفة ووقف خلف (هارى) .. ولأول مرة تكلم :

- مستوى الطيران ٣١٠ .. هل تريدون الإبلاغ عن شىء ؟

ساد الصمت لهنيهة .. فعاد المشرف يكرر العرض :

ـ هل تريدون الإبلاغ عن (جسم طائر غير معروف) ؟
استمر الصمت .. ثم دوّى صوت الطيار :
ـ سلبى .. لا نريد الإبلاغ ..
ـ إذن هل تريدون كتابة تقرير من أى نوع ؟
ـ لا نعرف حتى ما يمكن كتابته ..
ابتسم (هارى) فى رضا .. وانحنى على (الميكريفون) هاتفًا :
ـ إذن .. استدر يمينًا إلى خط التقاطع (ج ـ ٨) .. استعد ملاحتك الطبيعية ..
تبخر جو التوتر المخيم على المركز أخيرًا ، ومال أحد الرجال على (هارى) يسأله :
ـ ما هو التصرف فى حالة كهذه حسب الكتاب ؟
هزّ (هارى) كتفيه :
ـ علىّ اللعنة لو كنت أعرف .. لقد أصدرت القوات الجوية هذا الكتاب من ثلاثين سنة .. دعهم ليستكملوه الآن !

★ ★ ★

فوق بيت (روى نيارى) أزت الطائرة النفاثة (DC - 9) فى أثناء ابتعادها عن مسرح الحادث ، لكن صوت محركاتها كان واهنًا فلم يتبين أحد من سكان الدار مرورها ..

كان (روى) قد حوّل غرفة المعيشة فى داره إلى (غرفة هوايات) تتناثر فيها الألعاب هنا وهناك .. وعلى المائدة استقر نموذج لقطار صغير يسير على قضبان ما بين أشجار مصغرة وبحيرات ، وكان (روى) جالسًا على الأرض جوار ابنه (براد) ـ ثمان سنوات ـ يحاول معاونته فى الرياضيات ، لكن الطفل كان أقل اهتمامًا بجدول الضرب منه بالقطارات الكهربية ..
كان (روى) قد وعد زوجته بأن يتخلص من نموذج القطار يومًا ما .. ولكن ليس الآن .. لأننى أب يا (رونى) ـ اسم الزوجة ـ وأعرف تمامًا قيمة ألعاب القطارات بالنسبة للأطفال .. وهكذا ازدادت شبكة خطوط السكة الحديدية تعقيدًا وصارت تلتهم أكثر جهد (روى) ووقته ..
سأله الطفل حالمًا :
ـ ماذا لو وضعنا جسرًا فوق القضبان ها هنا ؟
قطب (روى) جبينه متوعدًا :
ـ حسبتك تدرس واجبك المنزلى ..
ـ إننى أمقت الرياضيات !.. مهندسو القطارات لا يحتاجون إليها ..

كذا هتف الطفل محنقًا ورمى قلمه الحبر على الأرض .. ومدّ يده إلى جيبه الخلفى ليخرج آلة حاسبة صغيرة أمام عينى أبيه المذهولتين ..

وهنا اقتحم (توبى) ـ ابن الست سنوات ـ الغرفة غاضبًا .. ومشى نحو أخيه ليهزّ إصبعه فى وجهه هاتفًا :

ـ لقد سرقت قلمى المضىء !

ـ لم أفعل ..

بدأ الصبيان يتشاجران على حين تشبثت (سلفيا) الصغيرة بتنورة أمها ، بينما هذه الأخيرة متجهة لغرفة النوم فرارًا من الضوضاء ..

صاحت الأم فى غلّ :

ـ (روى) !.. يجب أن نذهب لمكان ما !

ـ لكنك بالفعل تذهبين إلى مكان ما .. كلما اصطحبت (براد) إلى المدرسة ..

ـ يا لها من نزهة !

ـ أنت ترسمين صورة سيئة يا ملاكى ..

ـ إذن أعطنى فرشاة أفضل !

ـ (رونى) .. إذا كنت تعتقدين أن عملى فى شركة الكهرباء هو نوع من اللهو فدعينى أصارحك بأن إصلاح محوّل محترق يقتضى مجهودًا قريبًا من إصلاح كل المحولات المحترقة ..!

نظرت له نظرة خاوية .. وغمغمت :

ـ ما أعنيه هو أن الوقت قد حان لنغير أسلوب حياتنا ..

ـ هذا هو ما يفعله الأثرياء يا ملاكى .. كل ما عليهم هو الاتصال بـ (السوبر ماركت) طالبين حياة جديدة تمامًا ..

ـ إذن أنا أتحدث عن نوعية حياتنا .. ليست حياة تلك التى نقضيها .. نفتش رفوف المتاجر عن ثلاث عبوات من ورق (التواليت) بسعر اثنتين ..

أحس بالحرج وتوقف عن الكلام لحظة .. ثم تمتم :

ـ سأنال علاوة فى (يناير) ..

صرخ (توبى) فى غضب مقاطعًا :

ـ لقد سرق أخى الحقير أقلامى المضيئة !

كانت (رونى) تتأمل صورتها فى المرآة شاردة .. ثم تمتمت :

ـ إننى أبتسم أكثر من اللازم .. لقد صارت شفتاى رفيعتين .. إنها السن الخطرة ..

صاح (روى) فى الأطفال وهو ينهض :

ـ والآن هلموا يا شباب !.. حان وقت الفراش ..

احتجّ (توبى) .

ـ لكنك قلت إننا نستطيع السهر ومشاهدة (الوصايا العشر) فى التلفاز ..

- تستطيعون مشاهدة خمس من الوصايا العشر ..

وهنا دقَ جرس الهاتف فهرعت (رونى) تردَ عليه ، ثم إنها نادت (روى) لأن المكالمة له .. أمسك الزوج بالسماعة متسائلًا :

- ماذا حدث يا (ايرل) ؟

(ايرل) هو زميله فى شركة الكهرباء بالمناسبة ، ولقد أخبره أن المولّد الرئيسى به عطل هائل .. وطلب منه أن يرتدى ثيابه فورًا لأن الكهرباء ستقطع فى غضون ثوان .. ثم ....

- تعال إلى (جيلمور) بأقصى سرعة يا (روى) ..

وضع (روى) سماعة الهاتف واستدار نحو امرأته صائحًا :

- هل سمعت هذا ؟

وهنا ساد الظلام الغرفة .. الظلام والسكون ..

★ ★ ★

كان (آيك هاريس) ممسكًا بسماعتى هاتف حين وصَل (روى) .. إحدى السماعتين تتصل بالمصعد الذى سُجن فيه المشرف (جريمسبى) .. والسماعة الأخرى توصله بالعالم الخارجى الذى أصابه الهلع ..

صرخ (هاريس) وهو يرتجف :

- فقدنا خطًا حمولته ٢٧ ألف فولت فى (جيلمور) .. لقد انقطع التيار الكهربى فى (تولونو) و (كريستال ليك) .. نعم يا سيدى .. نعم .. لا بد أن يعمل البرج ذو الخمسمائة كيلو فولت وإلا .... نعم ؟.. حسن يا سيدى ..

ثم نظر نحو (نيرى) فى اهتمام .. وهتف فى السماعة :

- سأرسل (روى نيرى) حالًا ..

تساءل (نيرى) فى ضيق :

- أحقًا ستفعل ؟

- اذهب عليك اللعنة الآن !.. كلا !.. ليس أنت يا مستر (جريمسبى) بل (نيرى) .. معذرة !

وهكذا ....

اندفعت سيارة (روى) الصغيرة عبر طريق ريفى معزول وقد غطت عجلة القيادة خريطة مهترئة تبين توزيع شبكة الكهرباء ، وفى فم (روى) كانت بطارية صغيرة على شكل قلم مسلطة على الخريطة ..

المذياع يبث نداءات سيارات الشرطة بعضها للبعض :

- مرحبًا أيها الشريف .. دورية الطريق السريع رقم ٦١٠ .. نحن فى (ريفا) .. هل هناك كارثة ما ؟

دوَى صوت الشريف المعذنى من جهاز المذياع :

- أرجو أن تذهبا للمرأة الحمقاء المقيمة فى ٢١١ طريق (ريفا) .. تقول إن ضوء المنزل الخارجى يتراقص والكلاب تنبح ..

وهنا تحرك اهتمام (روى) .. إن (ريفا) جزء من (تولونو) .. وهذا يعنى أن الكهرباء قد عادت هناك .. رفع سماعة هاتف السيارة وتساءل :

- ت . ر - ٨٨ .. هل أعدتم التيار الكهربى إلى (تولونو) ..؟

دوّى صوت (هاريس) الهستيرى المحنق عبر سلوك الهاتف :

- هل تمزح ؟.. إن (تولونو) هى أول ما انقطعت عنه الكهرباء ..

- سمعت رجال الشرطة يتحدثون عن أضواء فى (ريفا) ..

انفجر (هاريس) بالسباب - البذىء طبعًا - من أجل حماقة (روى) الذى يتسلى بسماع نداءات الشرطة فى ليلة كهذه ..

عاد (روى) يقود السيارة وقد احمرت أذناه حرجًا ..

وعن بعد رأى ضوءًا عنبرى اللون يدور فوق سيارة إنقاذ واقفة .. فتوجه جوارها .. كان هذا هو برج الكهرباء المعطل وقد جاء بعضهم لفحصه ..

كان هناك رجلان أحدهما هو (إيرل) الذى اتصل به فى داره ، من ثَمّ سأله وهو ينظر لأعلى :

- مرحبًا (إيرل) .. ماذا هنالك ؟

التمعت أسنان (إيرل) فى وجهه الزنجى .. وهتف :

- لقد سرق أحدهم ميلين من سلك التوصيل !

- هل تمزح ؟

دون كلمة أخرى رفع (إيرل) مصباحه وسلط ضوءه على قمة البرج .. إلى حيث كان هناك سلكان نحاسيان سميكان يوصلان إلى البرج التالى .. لكنهما لم يكونا فى مكانهما ..

- إن الخط لم يتعطل .. بل اختفى !.. لا يوجد شىء من (م - ١٠) إلى (م - ١٢) !

هتف (روى) فى ذهول :

- علىّ اللعنة لو كنت أفهم .. لربما هو سعر النحاس المرتفع ؟!

- لقد نصحت مرارًا بأن يمدوا أسلاك الكهرباء تحت الأرض ..

- ولكن أين تقف العصافير إذن ؟

ثم إن (روى) رفع السماعة طالبًا (هاريس) ليبلغه بما حدث .. فدوّى صراخه الهستيرى (الذى لم يكن فى حاجة إلى هاتف فى الواقع) :

- يجب أن تعيد الكهرباء خلال ساعة !
- ساعة ؟.. مستحيل !
- حين يكون رئيسك سجينًا فى مصعد معطل ؛ يصير كل شىء ممكنًا !
- إن نداءات الشرطة مستمرة بخصوص أضواء غريبة فى (تولونو) ..
- إن كل أجهزة (الكمبيوتر) تقول إن (تولونو) مظلمة كعقلك تمامًا ..
ركب (روى) سيارته دون كلمة أخرى تاركًا الرجلين واقفين وقد عجزا عن اتخاذ القرار السليم .. لقد قرر أن يذهب بنفسه ليرى (تولونو) ..
وابتلع الظلام صوت وأضواء سيارته ..

★ ★ ★

منطلقًا بسيارته نحو (تولونو) ، أغلق (روى) جهاز الهاتف حتى لا يستطيع (هاريس) الحانق أن يجده ..
النجوم تلتمع فوق رأسه فى الظلام ، وصوت نداءات الشرطة تدوى من جهاز المذياع :
- يو - ه .. الضابط (لونجلى) .. حوّل ..
- استمر ..
- بخصوص الأضواء فى (١٠ - ٧٥) .. نحن ذاهبون للتحقق ..

نشر (نيرى) الخارطة فوق عجلة القيادة ، فسمع صوت فرملة عالية وسيارة تنز إلى جواره .. وشخصًا مّا يصرخ منها :
- أنت فى عرض الطريق أيها المعتوه !!
بعد دقائق أدرك (روى) أنه ضل الطريق فهو لم يتمتع يومًا بحاسة الاتجاه .. ها هو ذا فى طريق ريفى ما يحيطه ضباب الربيع المميز لهذه المناطق .. اللعنة !.. تفقد الخريطة ثانية .. اللعنة !..
وفجأة التمع ضوء سيارة آتية من الخلف .. وازداد إشراقًا .. ازداد .. ثم توقف عن الحركة ..
مدّ (روى) ذراعه الأيسر ملوحًا من النافذة كى تمرّ هذه السيارة .. لكن شيئًا لم يحدث لعدة دقائق ..
إن النور يكاد يعمى عينيه .. من ثم لوّح بيده وقد نفد صبره أكثر ..
وهنا .. ارتفعت الأضواء ببطء شديد لأعلى تاركة الظلام خلفها !
ولم يلحظ (روى) شيئًا من كل هذا لحسن حظه وإلا لجُنّ رعبًا ..
كل ما وعاه عقله الباطن هو أن الأضواء كفت عن مضايقته .. وهنا بدأ الصوت يقعقع .. يقعقع باستمرار كأنها علب من الصفيح تتصادم ..



وبصعوبة ارتداه ليجد ــ لشدة هلعه ــ أنه يهتزّ فوق أنفه كأنما أصابه مسّ ..

تساءل (روى) فى صمت : « هه ؟ » ..

وإذا بضوء كشافات سيارته وأضواء لوحة القيادة .. كلها تذبل وتتلاشى حتى ساد الظلام الدامس ..

ثم بدأ ضوء ساطع ـ لا يُوصف ـ يلتمع من حوله .. كأنه النهار .. ضوء لا تستطيع النظر إليه فضلًا عن فهم مصدره ..

وأحس بشىء يحرق جانب وجهه الذى ألصقه بزجاج النافذة ..

مدّ يدًا مكفوفة إلى (التابلوه) باحثًا عن منظاره الأسود .. وبصعوبة ارتداه ليجد ـ لشدة هلعه ـ أنه يهتزّ فوق أنفه كأنما أصابه مسّ ..

انفتحت علبة ملأى بمشابك الورق المعدنية وطارت منها المشابك لأعلى كى تثبت نفسها فى سقف السيارة !

المنظار ساخن حقًا .. إنه يحرق أنفه !.. خلعه وألقاه على المقعد ، فطار ليلتصق بسقف السيارة الذى تمغنط تمامًا ..

مرّت ثوان رهيبة ..

ثم خمد الضوء ..

سقطت مشابك الورق فوق رأس (روى) ، وكفّ صوت القعقعة ..

ثم ـ فجأة ـ عادت الأضواء وصوت المذياع إلى سيارته ..

صوت المذياع ملىء بالتداخلات والخشخشة كأنما هناك شحنة كهربية استاتيكية تؤثر عليه ..

دوّى صوت ضابط الدورية :

ـ قولى لى .. هل القمر بدر هذه الليلة ؟

صوت امرأة يردّ فى مركز الشرطة :

ـ لا .. القمر يصير بدرًا يوم ١٣ ..

ـ إذن أنا وزميلى نرى البدر الآن فوق هضبة (سجنال) .. الكل يراه ..

ـ صوت خشخشة ـ لحظة .. هو ذا يتحرك من الغرب للشرق !

صوت رجل شرطة آخر :

ـ هنا الوردية (١٠ ـ ١١) .. نحن أيضًا نرى القمر بدرًا لكنه لا يتحرك .. السُحب من خلفه هى التى تتحرك معطية انطباعًا زائفًا ..

ـ أين درست علم الفلك يا (١٠ ـ ١١) ؟.. هل سمعت فى حياتك عن سحب تتحرك خلف القمر ؟..

ـ لكن .. موقعىَ هو طريق (تلمار) السريع شرق وادى (هاربر) .

هتف (روى) فى ذعر :

ـ يا الله ..! أعرف هذا المكان جيدًا !

وانطلق بسيارته ـ التى عادت للحياة ـ نحو المكان ، شاعرًا أكثر فأكثر بالدغدغة على جانب وجهه ، متذكرًا أى هلع انتابه منذ لحظات .. لكن الهلع قد ذهب الآن وحلّ محله نوع من شغف الأطفال ..

كانت سيارات الشرطة ـ بدورها ـ تطارد هذا القمر المزيف ونداءاتها تدوّى عبر سماعة المذياع .

ـ إن سرعة الشىء تقل .. إننى أقترب منه أكثر .. إنه يتخذ منحنيات عجيبة بسلاسة غير عادية ..

بسرعة ٩٥ ميلًا فى الساعة يسابق (روى) الزمن بين منحنيات خطرة قاصدًا وادى (هاربر) ، وها هو ذا الآن فى طريق ريفى ذى حارتين من ثم خفض السرعة إلى سبعين ..

وهنا خيّل له أنه يرى شيئًا ما فوق الـ ....

طفل !..

يا للهول !.. ضغط الفرامل بأعنف ما استطاع ، وفى اللحظة التالية رأى امرأة تنقض على الطفل لتحتضنه ثم تتجمد مكانها إذ رأت أضواء سيارته ، بينما (روى) يصارع عجلة القيادة ..

وبصعوبة بالغة استطاع أن يمر جوارهما ليصطدم بسياج على جانب الطريق قبل أن يتوقف ..

كانت عضلات ذراعه ترتجف حين فتح الباب ، وهبط مترنحًا نحو المرأة التى احتضنت الطفل فى توتر ..

ـ سيدتى .. ما كان يجب أن تتركى طفلك ..

انفجرت (جيلان جيلر) صارخة :

ـ إننى أبحث عنه من ساعات .. غادر الدار .. ساعات وساعات أبحث عنه .

وهنا اقتربت سيارة (بيك أب) يركبها فلاح حوله أسرته الصغيرة .. كان الفلاح يجرع شيئًا من زجاجة وهو يطل برأسه من النافذة مغمغمًا :

ـ إنهم يأتون ليلًا .. يأتون ليلًا حتى لا يزعجوا الأهالى ..

وهبت ريح مفاجئة فتطاير شعر (جيلان) فى الهواء ..

ثمة شىء ما يتحرك من بعيد .. شىء ما ..

ـ ها هم أولاء قد عادوا ..

قالها الفلاح وجرع من زجاجته فى لا مبالاة يُحسد عليها ..

صاح (روى) وهو ينظر لأعلى :

ـ ربَاه !

كان الشىء الذى دنا منهم بأقصى سرعة هو جسم ضخم تحف به الأضواء ..

وكان هذا الشىء فوق رءوسهم الآن .. يتحرك نحو الغرب محدثًا تفريغ هواء قاتلًا عجزوا معه عن التنفس ..

شعرت (جيلان) بوجهها يحترق .. بينما الشىء المضىء يمرّ من فوقهم فى بطء شديد .. (روى) يحتضنها لا شعوريًا .. ضوء أحمر صغير غير مفهوم يدور دورة سريعة ثم يلحق بالجسم الضخم .. ويغيبان فى الأفق ..

الطفل يتواثب فى مرح مهللًا :

ـ (آيس كريم) !..

أما (روى) و (جيلان) فتجمدا لاهثى الأنفاس عاجزين عن الكلام ..

وفى هذه اللحظة انطلقت كالرصاصة ـ بسرعة ١٢٠ ميلًا فى الساعة ـ سيارتا شرطة مطاردتين هذا الجسم العجيب ..

ـ إنهم مجانين !

غمغم (روى) بينما سيارة شرطة أخرى تزأر مارة بهم ..

ـ كاد هذا المجنون يصدمنا !

ثم ركب سيارته محاولًا تحريرها من السياج المهشم .. لقد دار المحرك لحسن الحظ .. ها هو ذا .. لقد انتهى الكابوس ..

ولم يكن يدرى أن هذه هى البداية ..

* * *

٢ ـ الهـاجس ..

ضاغطًا على دواسة البنزين اندفع (روى) بسيارته عبر الطريق السريع ، مصغيًا إلى نداءات رجال الشرطة عبر جهاز المذياع ..

كان من الواضح أنهم ما زالوا فى إثر الجسم المضىء ..

عداد السرعة يثب إلى ٩٥ ميلًا .. ٩٧ ميلًا .. ٩٩ ميلًا ..

وبدأ يتبين الأضواء الخلفية لسيارات الشرطة التى تطارد الهدف ..

لم تكن المحاولة ذات جدوى لأن الأضواء الغامضة بدأت ترتفع لأعلى .. لتمتزج بالسحب المظلمة .. وتتلاشى تمامًا ..

وأخيرًا قرر (روى) أن ينسى الأمر برمته ويعود إلى (إنديانا) ..

وهنا رأى فى الأفق البعيد شريطًا من الأضواء .. هل هى آتية من (تولونو) أم من وادى (هاربر) ؟.. المهم أن انقطاع التيار قد انتهى ..

★ ★ ★

حين عاد (روى) إلى داره كانت الرابعة بعد منتصف الليل ..

ـ (رونى) !.. (رونى) !

نادى زوجته وهو ذاهب إلى غرفة النوم ، بينما كل عضلة فى جسده ترتجف نتيجة لمخزون خفى من (الأدرينالين) فى دمه ، الغثيان يخنقه من فرط الإثارة التى عاشها ..

ـ استيقظى يا حبيبتى !

اتسعت عيناها الزرقاوان هلعًا من وراء خصلات شعرها الأشقر المبعثرة ..

ـ ماذا هنالك ؟.. حريق ؟.. أطفالى !

ـ الأطفال بخير .. لن تصدقى يا ملاكى ما رأيت ..

نظرت للساعة المضيئة خلفه .. وغمغمت وهى تجذب الملاءة لتغطى رأسها :

ـ بالفعل لا أصدق .. لا أصدق أن توقظنى فى هذه الساعة ..

هتف فى انبهار :

ـ إنهم لا يتركون أصواتًا خلفهم .. لا شىء سوى الريح .. وفجأة .. وووش !.. ثم .. وووش !.. ثم أخيرًا ووووش صغير أحمر اللون !

لم تعلق (رونى) .. لكنها غمغمت من تحت الأغطية :

ـ شركة الكهرباء تحاول من فترة الاتصال بك دون جدوى ..

ـ أعرف .. لقد أغلقت هاتفى ..

ـ ما كان يجب أن تفعل أيها المعتوه .. اتصل بهم الآن ..

ـ لا وقت لهذا السخف !.. هلمى غادرى الفراش .. يجب أن ترى هذه المعجزة بعينيك !

قالها وجذبها خارج الفراش ، لم تر أثرًا للدعابة فى كلامه فآثرت السلامة وأصلحت من شأن شعرها متذمرة :

ـ لكننا لن نترك الأطفال ..

ـ الأطفال !.. حقًا !.. يا أطفاااال !.. يا أطفاااال !

وفى هستيريا شرع يضع الأطفال الناعسين فى ثياب الخروج ، ثم حمل معه كل كاميرا فى الدار .. وكل منظار مقرب أو تليسكوب ..

تساءل (براد) الصغير فى تعاسة :

ـ هل نحن ذاهبون للنزهة ؟

صاح أخوه (توبى) فى فظاظة وقد تذكر :

ـ لص !.. أنت سرقت قلمى المضىء !

لكن (روى) لم ينتظر لحظة .. بل جرّ الأسرة كلها إلى الفناء الخلفى ليركبوا السيارة الواقفة هناك .. فهتفت الزوجة بعينين مغمضتين :

ـ (روى) !.. لقد انتصرت لوجهة نظرك وأخرجتنا جميعًا من الدار .. والآن هلا عدنا إلى الفراش ؟

لم يرد (روى) وساعد الأطفال على الركوب ، فجلست المرأة جواره ، ونظرت إلى وجهه فى حيرة ثم تساءلت :

ـ (روى) .. ماذا حدث لوجهك ؟.. إنه نصفه أحمر !

نظر إلى المرآة .. وأطلق سبّة .. ثم غمغم :

ـ لنقل إننى كنت أصطاف فى أثناء نومك !

وهدر محرك السيارة منطلقًا إلى الطريق العام .. إلى المكان الذى شهد الحفل .. إلى السياج المحطم حيث قابل الفلاح وأسرته وكاد يصدم ابن (جيلان) ..

إنه ينتظر .. ينتظر ماذا ؟.. ينتظر أن تتكرر هذه التجربة .. أرجوك تكررى !..

إن الشغف يملؤه ليرى نفس الشىء من جديد .. لكن الليل يلاعبه لعبة قاسية .. ولم يعد رجال الشرطة ها هنا ..

فتحت الزوجة عينيها من نعاسها العميق .. وتلفتت حولها .. ثم سألت :

ـ ماذا تفعل هنا يا (روى) ؟.. ما الذى تنتظره ؟

ـ ستعرفين ما أعنيه حين ترينه ..

وأخذت عيناه تمسحان الظلام وتنظران للسماء .. فى توسل ..

- (روى) .. إذن قل لى كيف يبدو ..
بلَل بلسانه شفتيه .. وغمغم :
- مثل .. مثل قمع (الآيس كريم) !
كان هذا فوق قدرتها على الاحتمال .. لذا سألته ببراءة قاتلة :
- أى نوع من (الآيس كريم) ؟
- برتقال .. (آيس كريم) برتقال .. ولكن .. لا .. لم يكن كذلك .. بل هو مستدير وضخم .. و ...
ثم نظر لها .. وأسقط فى يده حين أدرك أنها تمزح ..
قرّبت وجهها من أذنه وأشارت إلى النجوم المترقرقة فى السماء .. وهمست :
- هل تذكر الماضى ؟.. حين كنا نجىء لأماكن كهذه كى ينظر كل منا للآخر ؟
لكن (روى) كان أبعد ما يكون عن الرومانسية فى هذه اللحظة ..
لم تتحمل هذه الإهانة .. فانفجرت أخيرًا برأيها فيه .. رأيها فى الرجل الذى يوقظ أسرته - محطمًا دورة النوم عندها - ليأخذ أطفاله إلى مكان كهذا ، زاعمًا أنه رأى فيه (آيس كريم) برتقال لكنه مستدير وضخم ..

- سينام الولدان فى الصف غدًا .. وستظل (سيلفيا) مستيقظة حتى الثالثة صباحًا فى الأيام التالية .. (روى) .. نحن أسرتك .. لا تعاملنا بهذا الأسلوب .. إنه ليس الأسلوب الطبيعى ..
- طبيعى ؟
نظر لها (روى) فى حيرة .. لم تكد تعرف - ولا هو يعرف - أن علاقته بكل ما هو طبيعى قد دنت من نهايتها ..

★ ★ ★

لا توجد طرق مختصرة للوصول إلى (بناريس) ..
ولا يمكن إرسال طائرة حربية - حتى بمعونة الحكومة الهندية - إلى هذه المدينة العريقة المقدسة عند الهندوس ، لأن الهنود لن يقبلوا ذلك .. بالإضافة إلى أن هذا سيضرّ بسرية المشروع ..
كان (لوفلين) واثقًا بأن (لاكومب) - لو أعيته الحيل - سيذهب إلى (بناريس) مرتديًا ثياب (غاندى) البسيطة حافى القدمين متكئًا على عصا خشبية ، لهذا شعر بالامتنان للطائرة النفاثة التى نقلتهم من (باريس) إلى (رانجون) فى نصف يوم ..
ثم إن (هليكوبتر) حملتهم فوق الهضاب إلى (بناريس) خلال نصف ساعة ، لكن الهبوط كان مشكلة حقيقية وسط هذه الحشود ..

صاح (لوفلين) فى ذهول :
- انظر إليهم !.. إنهم ألوف !
صحح له (لاكومب) كلامه :
- بل مئات الألوف !
- مذهل ..!
قال (لاكومب) رافعًا صوته فوق صوت المحركات :
- إن (السادو)(*) رجل مقدس عندهم .. لكنه أيضًا رجل عملى، ولقد ظل يصغى أعوامًا .. وهو الآن ينتظر النتائج ..
- كنت أظن أن (الهندوس) لا يبغون سوى السلام النهائى مع (النيرفانا) ..
هبطت (الهليكوبتر) مبعثرة الرمال هنا وهناك ، ثم نزل (لاكومب) منها ومعه (لوفلين) وفنيان ..
أشعة الشمس تنحدر أفقيًا منذرة أن نيرانها بعد قليل ستتدارى خلف الهضاب الغربية ..
وبدأ (لاكومب) التحرك ، خلفه الرجال يحملون جهاز التسجيل وآلة تصوير ١٦ مم وبطارية ، يتقدمون ما بين صفوف الحجاج .. الحجاج الذين ازدحموا وبعضهم أحضر معه سلال الطعام، وبعضهم بدت عليه سمات الجوع والفقر ..

(*) السادو : رتبة دينية عليا عند (الهندوس) .

عائلات كاملة كانت هناك .. والجميع ينتظر شيئًا ما ..
كان (السادو) جالسًا فى وضع زهرة (اللوتس) .. قدماه متقاطعتان تحته وعيناه مغلقتان وكفاه متلاصقان .. كأنه طائر عملاق يتأمل ..
وعندما وصل (لاكومب) ؛ نهض أحد (البراهما) فى حين دنا (لوفلين) كى يترجم ما يقال .. ولم يحتج (لوفلين) لكثير ذكاء كى يعرف أن (البراهما) هو (مدير أعمال) الكاهن ..
لم يبد على (السادو) أى انفعال - ولا حتى طرفة جفن - تدلّ على أنه يدرك ما يدور حوله ، من ثم اضطر (لاكومب) إلى أن يجلس جواره فى وضع مماثل لوضعه على مسافة معقولة طبعًا ..
وبدأ شريط التسجيل يدور .. وكذا آلة التصوير ..
تساءل (لوفلين) فى سره عما يفعلون فى هذا المكان العجيب .. ماذا ينتظرون ؟.. لقد تكلم التقرير عن حادث لا يُصدَّق فأين هو ..؟
وهنا بدأ (السادو) يتحرك .. ببطء .. ببطء ..
ارتفع جفناه لأعلى .. عيناه السودوان فى محجرين شديدى البياض تحف بهما أهداب كثيفة سوداء ..
وببطء بدأ يقف على قدميه .. تاركًا الباقين جاثين على ركبهم ..

فرد ذراعيه على امتدادهما كطائر عملاق يوشك على الرحيل إلى السموات ، فى حين توارى قرص الشمس خلف ظهره ..

رفع ذراعيه فوق رأسه هنيهة ثم عاد يهوى بهما إلى جانبيه كأنه مايسترو يقود أوركسترا كونية ..

نغمة خفيفة تتعالى من ألوف الحناجر ..

باستمرار وثبات بدأت النغمة تحفر طريقها إلى مخ (لوفلين) ..

ثم إن (السادو) حرك ذراعيه طالبًا نغمة أخرى من الجموع ..

نغمة أكثر ارتفاعًا ..

الحجاج يرددون النغمتين على التوالى.. ثم لحظة صمت ..

بعدها جاءت النغمة الثالثة .. فالرابعة .. فالخامسة ..

الأرض تهتز بالنغمات الخمس مرارًا ..

النغمات التى قالت التقارير إنها أتت من النجوم منذ أربع ليال .. ومن حينها ظل (الهندوس) يرددونها مئات المرات ..

حتى الهواء نفسه يهتز بالنغمات الخمس ..

إنـه الظـلام ...

النجوم تلتمع فوق الرءوس ..

رفع (لوفلين) رأسه ليرمق النجم الموجود عند طرف (وعاء الدب الأكبر) .. خيل له أنه يتلألأ مع النغمات .. كأنما ليرسل رسالة بشفرة (مورس) ..

ثم .. إذا بالنجم ينفجر ..

ضوء قرمزى يلتمع .. ثم يصير برتقاليًا .. فأصفر .. فأخضر باهتًا ..

وإذا بالنغمات الخمس تدوى عبر الأجواء ..

تعزفها آلة موسيقية لم يصنعها بشر ..

ساد الصمت بين الحجاج ..

وهتف الرجل الذى يحمل الكاميرا :

ـ ياللعنـة !!

وهنا انتهت الأغنية ..

نظر (السادو) إلى (لاكومب) .. وهمس بالإنجليزية :

ـ السماء .. السماء تغنى لنا !

تعانق الرجلان والدموع تنثال على خديهما .. وهمس (لاكومب) بلكنته الفرنسية :

ـ إنها تغنى لنا جميعًا أيها الصديق !

★ ★ ★

يحاول (نيرى) أن يركّز بعض تفكيره على عملية حلاقة ذقنه ..

كان واقفًا أمام مرآة الحمام يفرغ علبة صابون الحلاقة على كفه ، ثم يرفع هذا الكف صوب خده .. حين ...

حين لفت نظره شىء ما ...

رفع كفه - وجبل صغير من الرغوة فوقه - إلى مستوى بصره ، ثم بدأ يحاول إعادة تشكيل الصابون فى صورة ما ..

إن هذه الصورة تتجاوز وعيه .. لكنها تذكره بجنون بشىء ما .. شىء يفوق قدرات العقل البشرى ..

كلنا نجتاز هذه المواقف .. مكان تحسب أنك رأيته من قبل .. وجه يبدو مألوفًا .. لكنك واثق بأن هذا لم يحدث قط .. يسمى علماء النفس هذه الظاهرة باسم (ديجافو)(*) .. بالتأكيد إن ما يشعر به الآن هو نوع من هذه الضلالات ..

وهنا دخلت (رونى) الحمام فالتفت لها ليريها ما فى يده :

(*) (ديجافو - Dé Jà-Vu) لفظة فرنسية معناها : شوهد من قبل ، وتوجد ظاهرة أخرى هى (جامى فو - Jamais - Vu) بمعنى : لم يُشاهد قط ، حين تقابل صديقًا حميمًا أو أخا لك ولثوان تشعر كأنه غريب عنك وأنك لم تره من قبل .

- (رونى) .. بم يذكرك هذا ؟

لم تردّ على سؤاله .. وببرود قالت :

- الليلة سيكون هناك حفل .. ولا أريد منك أن تحكى قصة (الآيس كريم) للناس حتى تعرف حقيقة ما تتحدث عنه ..

- كل ما هنالك أننى أريد أن أعرف ما يحدث فى هذا العالم ..

قالت (رونى) كأنها تقرر حقيقة نهائية :

- إنه مجرد (شىء من تلك الأشياء) .. والآن لنغلق هذا الباب للأبد .

وهنا دقّ جرس الهاتف ، فرفعت (روبى) كف (روى) المغطى بالصابون ، وضغطتها على وجهه مداعبة .. تلوّث وجهه بالصابون فبدا كلعبة من التى توضع فى بانيو الحمام ..

ثم إنها هرعت لتردّ على الهاتف ..

بعد دقائق عادت له مرتجفة والدموع فى عينيها ..

- (روى) .. كان هذا هو المشرف (جريمسبى) من شركة الكهرباء ..

- عليه اللعنة ..

- لقد طردوك يا (روى) !



لم يردّ (روى) بل ظل يرمق المرأة فى بلاهة :
لم يكن ينظر إلى وجهه ولا وجهها ــ حيث تبكى على كتفه ..

وارتمت بدموعها فى أحضانه .. الخدان متلاصقان .. كريم الحلاقة والدموع .. وتهاتفت :

ـ ماذا سنفعل ؟.. لقد طردوك .. لم يحاولوا حتى الكلام معك !

لم يردّ (روى) بل ظل يرمق المرأة فى بلاهة :

لم يكن ينظر إلى وجهه ولا وجهها ـ حيث تبكى على كتفه ـ بل إلى صورة غرفة النوم خلف كتفها .. غرفة النوم حيث تكدست الوسائد فوق الفراش فى إهمال فبدت كجبل صغير كالذى كان يصنعه بكريم الحلاقة منذ دقائق ..

غمغم لنفسه :

ـ كلا .. ليس هذا هو الشكل المطلوب ..

★ ★ ★

حينما تصير عاطلًا ؛ يكون عندك وقت كاف لعمل كل ما يروق لك ..

كان (روى) يذهب إلى (هناك) كل ليلة ، وكان الجميع قد صاروا أصدقاء قدامى ..

منْهم الفلاح الذى كان مع أسرته فى تلك الأمسية ، وامرأة عجوز أحضرت كرسيًا هزازًا وجلست تحيك بالإبرة ، وامرأة معها ألبوم صور يحوى صورًا لهذه

الأشياء التى اتفق الجميع على تسميتها بـ (أشياء الليل) .. حتى صوت طائرة نفاثة تحلق فى الشمال كان كفيلًا بجعلهم يتوترون :

ركع (روى) جوار عجوز فى الثمانين من عمرها .. وتساءل :

ـ هل يأتون هذه الليلة ؟

ترقرقت عيناها بالدمع .. وهمست :

ـ أتمنى ذلك .. ألا تتمنى أنت ؟

ـ بلى ..

قالها بصدق .. قالها بحرارة .. وتركها ليتفقد رفاق التجربة الآخرين .

لقد بدأ هذا الحشد يجتمع هنا كل ليلة بعد ما ظهرت (أشياء الظلام) ، واعتاد (روى نيرى) أن يلحق بهم .. وفى الظلام ميّز تلك المرأة وطفلها اللذين كاد يدهمهما فى تلك الليلة بسيارته ..

رفع ذراعه محييًا فجاءته مع الطفل :

ـ أتذكرنا ؟

ـ وكيف أنسى ؟

ـ (جيلان جيلر) .. وهذا هو طفلى (بارى) ..

ثم أشارت إلى لوحة الشمس على خده .. فهمس (روى) :

ـ أتعشم أن أحرق الخد الآخر هذه الليلة ..!

ـ أنا أيضًا أصبت بحروق ..

قالتها وفتحت البلوزة كاشفة عن عنقها حيث كان الحرق .

ـ احمرّ وجه (روى) حياء فقالت :

ـ معذرة .. إن رؤيتنا (للأشياء) معًا قد جعلتنى أشعر أنك أخى ..

وهنا استرعى (بارى) الصغير انتباههما .. كان جالسًا على الأرض يصنع من الطين جبالًا صغيرة .. وأدرك (روى) ـ فى هلع ـ أن الطفل يحاول تشكيل نفس المنظر الذى يؤرقه هو ..

سألت (جيلان) فى شرود :

ـ هل فهمت زوجتك كلامك حين وصفت لها ما رأيناه ؟

قال بشىء من السخرية المريرة :

ـ طبعًا .. فهمتنى .... تمامًا ..!

ـ لقد اتصلت بأمى أخبرها فقالت إن هذه هلوسة ناجمة عن حياتى وحيدة ..

ـ وأين والد (بارى) ؟

ـ متوفى ..

ونظرت إلى بعيد .. ثم ساد الصمت بعض الوقت ..

تأمل (روى) الجبل الصغير الذى كان الطفل يصنعه ثم أضاف بعض قطع الحصى حوله ، وسأل المرأة وهو لا يرفع عينيه عن الجبل الوليد :

ـ بمَ يذكرك هذا ؟

انحنت على الأرض لتضيف بأظفارها بعض الخشونة إلى جانب الجبل الناعم .. وقالت :

ـ أفضله هكذا ..

ـ وكذلك أنا .. ولا أدرى السبب ..

وفجأة صرخ أحدهم :

ـ انظروا نحو الشمال الغربى !

نظرت (جيلان) و (روى) إلى حيث أشار .. وساد الصمت ..

رأى الحشد ضوأين ساطعين يتحركان أمامًا وخلفًا .. يرتفعان .. ويهبطان .. ويقتربان ..

رفع (روى) الكاميرا .. وغمغم من بين أسنانه :

ـ هذه المرة أنا مستعد ..

الضوءان يقتربان .. يعميان الأبصار بلا رحمة ..

وكانت ذراع (روى) ترتجف انفعالًا ..

الضجة تتعالى .. تتعالى ، الهواء يتحرك .. تزداد سخونته ثم ...

كانت طائرتا (هليكوبتر) خاصتان بالقوات المسلحة تحلقان فوق الحشد ، وصوت المحركات يصم الآذان .. والمراوح الرأسية تطير المقاعد والحقائب والبطاطين .. وتعمى العيون بالضوء والغبار ..

ثم تبتعدان بعد ما أشبع الطياران فضولهما ..

كان الهواء نفسه يهتز كما حدث فى تلك الليلة ..

وللمرة الأولى بدأ الشك يساور (روى) حول حقيقة ما رآه فى تلك الأمسية ..

فكل ما رآه قد تكرر .. لكن السبب معروف فى هذه المرة ..

★ ★ ★

منتصف الليل فى (بارستو) بولاية (كاليفورنيا) ..

النجوم تلتمع كماسات معلقة فى عباءة الليل .. على حين تصغى أذن التلسكوب (جولدستون) العملاقة إلى السماء .. وهو نفس التلسكوب الذى يقفو آثار الأقمار الصناعية وسفن الفضاء .. (فايكنج) .. (ساتيرن) .. (فويجر) .. (مارينر) ..

وكان المكان يعجّ بالأجهزة وشاشات (الكمبيوتر) ..

لكن أغرب الأشياء على الإطلاق كان هو مشهد (لاكومب) جالسًا أمام جهاز (سينثسايزر) يعزف على

مفاتيحه خمس نغمات متوالية .. إننا نذكر هذه النغمات .. سمعناها فى (الهند) .. فى (بناريس) .. حين عزفتها النجوم ..

ثم جاءت الإجابة ..

فجأة انفجر شلال من الورق خارجًا من أجهزة الطباعة .. ورق ملىء بالأرقام ..

لقد تم الاتصال .. (لاكومب) واثق من هذا ..

التف الرجال حول الأرقام يطالعونها .. لكنهم لم يفهموا شيئًا ..

قال أحدهم :

ـ يبدو لى هذا كرقم بطاقتى الائتمانية !

ـ أو هذا الرقم (٤٠ ـ ٣٦ ـ ١٠) هو مقاييس رجل نحيل جدًا ..!

تعالت الضحكات .. لكن (لاكومب) لم يفهم الدعابة .. نظر نحو المترجم طالبًا شرحه ، لكن (لوفلين) كان شاردًا يتأمل الأرقام وقد بدا عليه الاهتمام ..

ثمة فكرة تلتمع فى ذهنه .. فكرة مجنونة ..

ثم إن (لوفلين) صاح فى الحشد الصاخب :

ـ من فضلكم !!

فساد الصمت ..

قال وهو يتأمل الأرقام التى أمامه :

ـ قبل أن تتحول مهنتى إلى مترجم كنت أقرأ الخرائط .. وهذه الأرقام تبدو لى كخطوط طول وعرض ..

ساد الصمت برهة ثم تواثب الجميع حول (لوفلين) يطلبون تفسيرًا ..

قال أحدهم :

ـ لربما هم يعطوننا إحداثيات مجرة .. زاوية سمت أو شيئًا من هذا القبيل ..

ـ لا أعتقد ذلك يا رجل .. أعتقد أن هذه إحداثيات موقع أرضى ..!

كان هذا أقصى ما يحتمله الجالسون ، وبدا للحظة أن كل إنسان يفتش عن خارطة ، ثم تذكروا أن هناك نموذجًا للكرة الأرضية فى غرفة المدير ..

اقتحموا الغرفة وانتزعوا الكرة من مكانها ، ودحرجوها ـ كلاعبى كرة السلة ـ إلى الردهة ، ثم ركع (لوفلين) على ركبتيه يتفحصها .. ويتتبع خطوط الطول :

ـ إننا نصعد أعلى عبر (أنتاركيتكا) .. المحيط .. المحيط .. جزيرة عيد الفصح .. (المكسيك) .. كهوف (كارلسباد) .. ثم ....

فى نفس اللحظة مدّ أحدهم إصبعه يتتبع خطوط العرض :
- (مين) .. (نيوهامبشير) .. (منيسوتا) .. (ساوث داكوتا) .. ثم ...
وتقاطع الإصبعان - الطولى والعرضى - عند بقعة شمالى غرب ولاية ....
- (وايومنج) !..
صاح المدير فى جنون :
- لا تقفوا هكذا كطيور البطريق ..!.. أحضروا لى خريطة مقطعية لولاية (وايومنج) بكل معالمها ..!
عاد (لاكومب) إلى جهاز (السنشايزر) يواصل ضرب النغمات الخمس .. فى حين كان الحشد حوله يحتفل بأول اتصال حقيقى يتم مع الفضاء ..

★ ★ ★

كان (الاكسليفون) الصغير فى حال سيئة ..
لهذا بدت النغمات الخمس غريبة حين عزفها (بارى) الصغير عليه .
ولم يعزفها بسرعة لكنه ظل يحاول مرارًا حتى وصل إلى النغمة المطلوبة .
أما الأم (جيلان) فأمضت اليوم ترسم أشكالًا لا نهاية لها

بالفحم والباستيل .. فقد بدأت حياتها تدرس الرسم ، ولم تتخلص قط من هذه العادة ..
اليوم وجدت نفسها ترسم جبلًا بعينه مرارًا لا حصر لها .. جبلًا طويلًا مدببًا كإصبع أرضى يفقأ عين الشمس .. ، وكانت أخاديد خشنة تحيط به على عدة مستويات .. لا تدرى لماذا أحبّت رسم هذا الجبل ..
وهنا دوّى الرعد ..
خرجت (جيلان) إلى الخارج لترى ، فوجدت السحب تحتشد فى الغرب حاجبة الشمس الغاربة .. الهواء يزداد سمكًا معطيًا صوت وإحساس سرب من النحل ..
ثم بدأت السحابة تتحرك لأسفل ..!
نعم .. لأسفل .. نحوها !.. بينما داخلها تتواثب لمحات من الضوء الملون ..
همست فى جزع :
- يا إلهى !
وتراجعت للوراء ببطء .. ببطء .. لم ترد أن تجرى حتى لا ينتابها الهلع .. إن هذه السحابة قادمة إليها .. وهى حقيقة لا وهم ..
دخلت المنزل .. أوصدت الأبواب .. أغلقت النوافذ .. ازدادت سرعة حركاتها .. وبدأ الذعر يتملكها ..



وتراجعت للوراء ببطء .. ببطء .. لم ترد أن تجرى حتى لا يتنابها الهلع .. إن هذه السحابة قادمة إليها ..

كان (بارى) سعيدًا .. يقهقه فرحًا مما هدأ من روعها نوعًا ..

ثم ـ فجأة ـ ازداد ذعرها .. إن هذا غير طبيعى .. لا يوجد طفل يضحك بكل هذه السعادة بينما الرعد يزأر ..

وفجأة وثب الطفل من مكانه جاريًا نحو النوافذ ليفتحها .. والستائر ليزيحها ..

ـ (بارى) !.. لا !

أمسكت به فى غرفة المعيشة ، حين التمع البرق خلف ستارة النافذة ودوى هزيم الرعد ..

ثم انطفأ النور ..

وإذا بجهاز التلفاز والستريو والمكنسة الكهربية كلها تدور تلقائيًا ..

ثم سمعت (جيلان) الصوت .. وبدا لها .. كالمخالب التى تخدش ما فوق رأسها ..

حدقت فى السقف بعينين متسعتين ..

صوت المخالب يهبط عبر المدخنة .. قادمة نحوها ..

وهنا دوّى صوت عال .. وغرقت الغرفة فى ضوء برتقالى .. وانفتحت كل النوافذ .. فخرّت (جيلان) على ركبتيها مغطية أذنيها ..

نور الحجرة يفعل أشياء شاذة .. فمرة يغدو حُمرة باهتة ثم يتألق إلى بياض مزرقَ يصيبها بالعمى .. وكان (بارى) فى الـ ....

صوت الستريو يتعالى .. والمكنسة الكهربية تعوى ألمًا .. ثم تنطلق مطاردة (جيلان) عبر الغرفة .. بينما (بارى) فى الـ ....

هى تسمع ضحكته المنتشية فى الظلام ..

فى المطبخ انفتح باب الثلاجة وأخذت أضواؤها تتلألأ باستمرار .. بينما (بارى) فى الـ ....

ها هو ذا !.. يزحف على ركبتيه محاولًا الخروج من الفتحة الصغيرة المخصصة لدخول وخروج الكلب ، أمسكت بكاحله وبدأت تجذبه للخلف نحوها ..

رائحة الكهرباء فى الجو ..

لكن قوة ما تجذبه إلى خارج البيت ..

توسلت (جيلان) فى هستيريا :

ـ أرجوك .. أطلقى سراحه !

جذبته بقوة أكثر .. ثم أدركت ـ دامعة ـ أنها إن لم تطلق سراحه فلسوف يتمزق جسده الصغير .. لهذا تركته ينزلق للخارج .. وفى الثانية التالية كان قد اختفى ..

اندفعت (جيلان) تفتح باب المطبخ وهرعت إلى الفناء الخلفى ..

لكن (بارى) لم يكن هناك ..

رأت شيئًا يشبه الإعصار يدور حول المنزل مرتفعًا نحو السحابة .. التى ارتفعت بدورها إلى عنان السماء ..

لم تدر (جيلان) ما تفعله .. فقط شرعت تركض خلف السحابة .. تركض إلى أن تعثرت .. وفقدت وعيها ..

كان آخر ما رأته هو نجم متفرد فوق رأسها يستحيل من اللون الأبيض إلى الأزرق فالأحمر ..

ثم غاب عن عينيها ..

وغابت هى عن الوجود ..

★ ★ ★

٣ ـ هل جُنّ زوجى ؟!..

ـ ما الذى تفعله فى الجراج ؟

ـ مجرد نجارة ..

قالها (روى) رافعًا صوته ليتغلب على ضوضاء مياه الصنبور إذ يغسل يديه ..

ثم خرج من الحمام يجفف وجهه فى منشفة .. ووقف جوار (رونى) ..

ـ جاءتك مكالمة ..

نظر نحوها منتظرًا بقية الخبر .. فرأى الابتسامة الخبيثة على شفتيها :

ـ لم تقل اسمها ..

ـ هى ؟!

ـ بدا لى أنها صدمت حين عرفت أننى زوجتك ..

ـ من هى ؟

ـ وضعت السماعة قبل أن تقول ..

نظر (روى) إلى ساعة الحائط .. وغمغم :

ـ إن الوقت قد حان للذهاب إلى الاجتماع الذى نظمته القوات الجوية ..

وكانت (رونى) ستصاحبه ..

خمسون ميلًا .. يجب أن تقطعها السيارة إلى القاعدة الجوية ، وقد وصلا قبل أن يبدأ الاجتماع بخمس دقائق ، الاجتماع الذى أعلن عنه التلفاز منذ أيام ..

سأل (روى) عن مكان استعلامات المدنيين فأخبروه به ..

دلفا إلى قاعة الاستقبال وجلسا على بعض المقاعد ينتظران مع مجموعة أخرى من الناس .. وهنا دخلت (جيلان جيلر) من الباب فنهض المحررون الصحفيون يصبون فوقها جحيمًا من أضواء الفلاش ..

ـ مسز (جيلر) .. هلّا أعطيتنا حديثًا ؟

بدت (جيلان) منهكة مُهدَمة ، ولم تنبس ببنت شفة ..

ـ مسز (جيلر) .. قلتِ إن طفلك اختفى .. ولم يترك أحدهم طلب فدية .. فهلّا كررتِ قصتك أمام عدسات التلفاز ؟

ـ ماذا حدث وقتها بالضبط ؟

بدأت (جيلان) تفقد أعصابها ، وسط زحام الأسئلة الجشعة القاسية فتراجعت نحو المصعد حين امحت (نيرى) واقفًا عبر الغرفة .. فهتفت فى هلع :

ـ لقد نالوا منه !

ودخلت المصعد على حين حرقت (رونى) زوجها بنظرة مقيتة .. لقد فهمت أن هناك شيئًا ما بين الاثنين ..

ودخل (سيرجنت) يرتدى ثيابًا مدنية إلى الحجرة وقال للجمع ..

- هلموا يا شباب إلى الداخل ..

كان عددهم ثلاثين أو نحو ذلك من المدنيين الذين شهدوا الحدث .. وكان هناك بالداخل حشد من القوات الجوية والصحفيين .. فأدرك (نيرى) أن العلانية ستكون هى شعار الجلسة ..

كان رجال القوات الجوية يحاولون إقناع الموجودين - سُدى - بأن ما رأوه هو ظاهرة جوية كهربية تحدث مرارًا .. لكنهم اعترفوا بأنهم لم يجروا أية تجارب فى المنطقة ، وبالتالى لا يملكون تفسيرًا محترمًا لما حدث ..

وكانت النتيجة هى مشادة بين (روى) ومدير الجلسة .. مشادة لا يعرف لها سببًا ، فلم يكن قط بهذه العصبية والتوتر ..

ثم إنه انصرف محنقًا ..

أما (جيلان) فقد سئمت التحقيقات المتكررة حول اختفاء طفلها ، من ثم أغلقت دارها عليها واعتزلت الجيران ، ومضت ترسم تكرارًا ذلك الجبل ..

ذات الجبل الذى ترسمه كلما خلت لنفسها ..

* * *

قرب (هانتسفيل) بولاية (تكساس) .. فى مصنع حديد مهجور ..

رتل من شاحنات النقل العملاقة يقوم حشد من الرجال بتحميلها بسرعة وكفاءة ، والحمولة هى عدد من الصناديق والحقائب البلاستيكية المغلقة بإحكام يقوم بتعبئتها رجال يرتدون المعاطف .. على حين تقف مجموعة من سيارات (الجيب) تنتظر شيئًا ما ..

توقفت سيارة (فولكس فاجن) قرب الزحام ، ومنها نزل (لاكومب) معه (لوفلين) و (روبرت) ..

سأل أحد المساعدين (لاكومب) :

- هل ثمة شىء فى حقائبك تحتاج إليه ؟ يجب أن نضعها على متن الطائرة حالًا ..

فهم (لاكومب) - الذى لم ينم منذ ثلاثين ساعة - السؤال دون ترجمة ، فهزّ رأسه أن لا .. شكرًا .. ، ولم يتمالك (لوفلين) نفسه من الذعر حين أدرك أن (لاكومب) سيظل ساهرًا لمدة ست وتسعين ساعة أخرى ..! فالفرنسى كان - ببساطة - عاجزًا عن النوم من فرط الاستثارة ..

فى ذلك الوقت كان الميجور (والشى) واقفًا مع آخرين يدخنون السجائر ويجرعون القهوة .. لقد عاد الميجور

لتوه من بعض العمليات الخاصة فى (تنزانيا) و (زائير) ليجد مسئولية مفزعة على عاتقه ..

ـ إنذار بالزلزال ؟!.. لن يصدق أحد حرفًا .. إن هناك فلاحين وهنودًا وحيوانات .. وكلهم يعرفون أن الزلازل غير واردة ..

قال رجل منهك نحيل القامة :

ـ ما زلت أحبذ الفيضانات !

ـ ومن أين تأتى بالماء ؟

قاطعه أحدهم وهو يعابث سلسلة مفاتيحه :

ـ وماذا عن احتمالات الوباء ؟.. هناك أبقار كثيرة فى (وايومنج) وسيكون مرض الحمرة معقولًا ..

أشعل الميجور (والشى) سيجارًا .. وغمغم :

ـ لا بأس .. لكنها لن تكفى لإخلاء الجميع .. لابد من مهرج هنا أو هناك يزعم أنه مُحصّن .. أريد حجة قوية تسمح بإخلاء ثلاثمائة ميل مربع من كل كائن حىّ ..

وكانت الشاحنات كلها تستعد للرحيل أمام عينى (لاكومب) الذى أخذ يمضغ قطعة من اللبان الأمريكى متعجبًا من أسلوب الأمريكان فى الحياة ، وإذا بسائق الشاحنة الأولى يخرج رأسه صائحًا :

ـ إلى الغرب !.. هوهوه ! (*)

وتحرّك الركب ..

★ ★ ★

قالت (رونى) لأمها فى الهاتف :

ـ لا يا أمى .. أستطيع تولى الأمر بنفسى .. شكرًا على كل حال ..

وقلبت المزيد من الصلصة فى الوعاء .. ثم غطت السماعة بيدها ، وقالت لـ (توبى) :

ـ اذهب وأخبر أباك أن العشاء معدّ ..

تردد (توبى) للحظة .. ثم وقف جوار أمه حيث وقفت فى المطبخ يسترق السمع :

ـ انت لا تعاونينى يا أماه ..

ـ واصلت (رونى) الشكوى ـ إنه لم يطلب رأى الأطباء .. لم يسأل أحدًا ..

واختلست نظرة من نافذة المطبخ إلى (روى) حيث جلس على سقف الجراج على مقعد متحرك ، وعلى عينيه وضع منظاره المقرب يمسح به الأفق جيئة وذهابًا ..

(★) النداء الذى كان المهاجرون الأوائل إلى الغرب يرددونه قبل رحيل القافلة .



وهنا لاحظ نموذج القطار الذى صممه على مائدة غرفة المعيشة ..
كان ثمة جبل صغير بنى اللون يقف فى شموخ جوار القضبان ..

ـ هو يقضى الوقت باحثًا .. نعم .. ليس عن عمل بل عن شىء آخر ..

ثم نظرت نظرة قاسية لـ (توبى) كى تجعله ينصرف .. وأردفت :

ـ أماه .. يجب أن أنهى المكالمة الآن ..

ثم وضعت السماعة فى شىء من الحدة ..

خرج (توبى) إلى الخارج ونادى أباه حيث جلس فوق سقف الجراج .. ناداه فى شىء من الخجل (كأنما يخشى أن يسمعه الجيران) :

ـ بابا .. العشاء معدّ ..

لم يبدُ على (روى) أنه لاحظ شيئًا أو سمع شيئًا .. فى الواقع لم يكن يسمع أحدًا فى هذه الأيام ..

ـ بابا .. أرجوك !

عندئذ تنبه (روى) وبدأ يهبط فى درجات السلم إلى الأرض .. ، ومن موقعها استطاعت (رونى) أن ترى أن وجهه مبلل .. لقد كان يبكى !.. يبكى خلف منظاره المقرب .. رأت كذلك لحيته التى لم يحلقها منذ زمن ..

فكرت للحظة أن تلحق به .. ثم عدلت عن ذلك ..

أما هو فدلف قاصدًا المطبخ .. وهنا لاحظ نموذج القطار الذى صممه على مائدة غرفة المعيشة .. كان ثمة جبل صغير بنى اللون يقف فى شموخ جوار القضبان ..

حاول بأنامله تغيير شكل الجبل راسمًا أخاديد على جانبيه ..

أحشاؤه تتقلص وعقله يوشك على الانفجار ..

ـ كلا .. ليس هذا هو الشكل المطلوب !

وجلس إلى مائدة العشاء دون أن يغسل وجهه أو يستبدل ثيابه ..

ولاحظ ـ فى مرارة ـ أن الأطفال قد نأوا عن موضعه على المائدة .. كأنهم احتشدوا حول أمهم خائفين ..!

قدمت لـه طبقه الملىء بالبطاطس الممهوكـة والسلامون ، ولشدة عجبها وجدت أنه لم يلتهم لقمة واحدة .. بل حدّق فى الطبق ببلاهة .. ثم إنه شرع يقلب البطاطس بشوكته أمام عيون الأطفال المهتمة .. كوّمها على شكل جبل كبير .. ثم غمغم :

ـ ليس كبيرًا بما يكفى !

ثم نهض ليتناول السلطانية الأساسية التى تحوى البطاطس ، وتناول منها ملعقتين كبيرتين أضافهما لنموذج الجبل .. وتأمل المشهد منتقدًا .. ليس بعد .. تناول ملعقتين أخريين .. ثم ـ دون إنذار آخر ـ شرع يشكل الجبل بيديه العاريتين محاولاً إعطاءه شكلاً ما !

ثم رفع عينيه ..

فوجد الأسرة كلها ترمقه فى صمت ..

ابتسم فى افتعال .. وتمتم محاولاً أن يكون ظريفًا :

ـ لقد لاحظتم يا أطفال أن بابا يفعل أشياء غريبة .. لكن لا تقلقوا ..

مازال بابا هو بابا ..!

ثم ابتلع ريقه .. وأردف :

ـ إنه شبيه بذلك الشعور المزعج .. حين تحاول تذكر لحن أغنية تعرفها جيدًا لكن اللحن غائب عنك .. لا أدرى كيف أعبر ..

ثم تحشرج صوته :

ـ أنا بخير .. صدقونى ..

ثم ترك المائدة ..

كاد الأطفال يلحقون به لكن صوت أمهم الآمر انتهرهم :

ـ اجلسوا وكلوا ..

وبقلب كليم رفعت الشوكة إلى فمها على صوت بعيد للمياه المتدفقة من الحمام ..

سمعوها .. وسمعوا كذلك صوتًا مختنقًا لرجل يبكى ..

نهضت (رونى) إلى باب الحمام .. وأصغت لثوان .. ثم نادت رجلها بنعومة وهى تقرع الباب :

ـ حبيبى (روى) .. هلا فتحت لى ؟

لم يرد ..

حاولت فتح المقبض لكنه كان مغلقًا .. صوت النحيب مستمر من الداخل .. نادته بصوت أعلى لكنه لم يجب .. هرعت إلى المطبخ وأحضرت سكين الزبد أمام عيون الأطفال المذعورة .. كانت تعرف ما ينبغى عمله ، فالأطفال كثيرًا ما يحبسون أنفسهم فى الحمام ، مدّت السكين ما بين القفل وإطار الباب .. وضغطت على الزلاجة فانفتح الباب ..

كان الحمام مظلمًا .. والماء ينهمر فى البانيو نصف المليء ..

بينما (روى نيرى) قابعًا فى الركن القصى يئن ويدارى فمه بيده ، محاولًا كتم صوت بكائه .. فما إن رآها حتى حاول أن يبتسم :

ـ إنه شيء كالفواق .. لم أستطع التوقف قط .. ماذا يجرى لى ..

قالت محاولة أن تتماسك :

ـ لا عليك يا (روى) .. لقد أعطتنى أمى اسم ذلك الرجل .. إنه طبيب ..

عاد يئن من جديد ، فجففت جسده .. وساعدته على ارتداء ثيابه .. وهى تستطرد :

ـ هذا الطبيب يمارس (علاج الأسرة) .. سنذهب إليه جميعًا وسيسمع لنا جميعًا ..

فربما ليس الخطأ خطأك .. من يدرى ؟

وابتلعت ريقها شاعرة أنها تنصح طفلًا من أطفالها .

ـ عدنى يا (روى) أن تذهب .. أرجوك عدنى ..

ـ أنا لا أحتاج إلى طبيب .. أنا أحتاج إليك أنت ..

كادت تجنّ .. ضربت الأرض بقبضتها الدقيقة وصرخت :

ـ أنا لا أملك لك عونًا !..

واحتشدت الدموع فى عينيها :

ـ كل هذا الهراء قد أحال منزلنا جحيمًا .. إننى أكرهك فى هذه الحال !

أمسك بيدها برفق .. فتملصت منه .. وواصلت الصراخ :

ـ لم يعد أحد يزورنا .. تركت عملك .. نحن فى أسوأ حال ماديًا .. إنك تدمر هذه الأسرة يا (روى) .. تدمرها .. إنها لم تعد تتحمل كل هذا .. لم تعد تتحمله ..

★ ★ ★

حين انتظمت أنفاس (رونى) غادر (روى) الفراش .. كانت الخامسة بعد منتصف الليل حين نهض قاصدًا غرفة المعيشة ، لقد صار منظر الغرفة مفزعًا من الفوضى وقصاصات الجرائد الملصقة هنا وهناك تتحدث عن (الأجسام الطائرة غير المعروفة) ..

جلس يتأمل الجبل الذى بدأ تشكيله أمس قبل العشاء جوار نموذج القطار ، ولقد وجده سخيفًا .. فهمس :

ـ كلا .. ليس هذا هو الشكل المطلوب ..!

ـ بابا ..

صوت ابنته (سلفيا) .. صحت من نومها ـ حاملة دميتها المفضلة ـ وجاءت غائمة العينين بفعل النعاس لترى ما هنالك ..

ـ ملاكى .. يجب أن تكونى فى فراشك الآن ..

ـ بابا .. هل ستصرخ فينا ثانية اليوم ؟!

هذا هو ما صرته يا (روى) فى عين أطفالك .. (آلة صراخ)!.. لكنها تتحمل كل هذا لأنها ـ ببساطة ـ تحبك !.. يالك من وغد يا (روى) ..!..

احتضنها فى حنان ولثم خدها .. وأقسم أن ينتهى كل هذا السخف الآن ..

فى عصبية بدأ يمزق كل قصاصات الورق التى تتحدث عن الأطباق الطائرة مرددًا :

ـ انظرى يا (سلفيا) !.. لقد شفيت !

كانت الطفلة ترمقه غير فاهمة لما يحدث لكنها ـ بحكم سنها ـ سعيدة بكل هذه الفوضى .. ها هو ذا ينتزع الجبل الصغير من موضعه جوار قضيب القطار .. إنه متماسك ..

هوب !.. انتزع الجبل لكن قاعدته ظلت متشبثة بالمائدة متصلة بجزء مهشم من النموذج ..

توقف لحظة .. واتسعت عيناه ذهولًا ثم هتف :

ـ (سيلفيا) .. هذا هو الشكل المطلوب !!

★ ★ ★

وحين استيقظت (رونى) فى العاشرة صباحًا ؛ كان ذلك على صوت ضوضاء غير عادية قادمة من الحديقة .. صوت ضحكات .. وصوت أشياء تتهشم ..

خرجت من تحت الأغطية وارتدت (روبًا) وهرعت لترى ..

يا للهول !.. لقد انتزع السلك الواقى من الحشرات المثبت على نافذة غرفة المعيشة .. ، وكوّم عشرات الشجيرات المنتزعة من الحديقة .. و ...

ـ (روى) !

هرعت للحديقة لتجد الأطفال يحملون شجرة (أزاليا) نحو أبيهم .. كان الأب واقفًا على سلم خشبى يصيح فى أطفاله :

ـ هلموا يا رجال ..

وإذا به يلقى بالشجيرة داخل حجرة المعيشة .. بينما (سيلفيا) تفرغ التراب من النافذة إلى الداخل ..!

سأل (توبى) فى مرح :

- بعد هذا .. هل يمكننا إلقاء القاذورات فى حجرتى ؟!
- توقااااااف !
صرخت (رونى) غير مصدقة لكل هذا .. كان حشد من الجيران يقفون - فاغرى الأفواه - يرمقون هذا السيرك .. وهرعت نحو زوجها عاجزة عن الكلام ..
فقال لها مفسرًا :
- لقد وجدتها !.. هل نظرت فى حياتك إلى شىء ما من ناحية فوجدته سخيفًا ثم من ناحية أخرى فوجدته معقولًا ؟!.. هذا هو ما حدث ..
- (روى) !.. أنت تثير هلعى !
- لا تخافى يا ملاكى .. أنا بخير ..
قالها وانتزع مائدة صغيرة من (الألومنيوم) وجدها بالحديقة ، وألقاها من النافذة لتسقط فوق الشجيرات وأكوام الغبار ..
- لا تقل إنك بخير ثم تقذف بالحديقة داخل غرفة المعيشة !
وهنا التمعت عيناه بفكرة جديدة :
- سلك عشة الدجاج !
ورأته يثب عبر سور الزهور إلى حديقة الجيران .. قاصدًا عش الدجاج الخاص بهم .. ورأته يعالج السلك

محاولًا انتزاعه من مكانه .. ثم اتجه إلى لفة سلك موضوعة عند مدخل الجراج وجذبها عائدًا إلى الحديقة ..
صرخت الجارة (مسز هاريس) فى توحش :
- أيًا ما كان ذلك الذى تفعله .. فهو سرقة !
صاحت (رونى) فى يأس متوسلة :
- سيعيد السلك لك يا (مسز هاريس) .. سيعيده !
كان الطفلان قد التصقا بها وقد ولت نوبة الحماس الأولى التى جعلتهما يساعدانه .. كانا خائفين الآن .. وقد أدركا - للمرة الأولى - أن أباهما مجنون .. مجنون حقًا ..
ومن نافذة غرفة المعيشة طارت لفة السلك لتلحق بما سبقها .. ثم إنه عاد يفتش فى الفناء عن مواد خام أخرى تصلح ..
صرخت (رونى) فى هستيريا :
- (روى) .. سآخذ الأطفال إلى دار أمى ..!
- هذا جنون يا ملاكى ..
- هذا ماذا ؟.. قلت ماذا ؟!
وحملت فى يدها (سلفيا) وساقت الأطفال إلى السيارة ، ثم أغلقت الأبواب وأمّنتها ورفعت الزجاج لتمنعه من اللحاق بها .. وحتى لا تسمع صراخه :
- (رونى) .. أرجوكِ أن تبقىْ .. ابقىْ معى !

صرخت من وراء الزجاج (بدا لـ (روى) وكأنها تخبو بعيدًا عنه) :

ـ أبقى ؟.. حتى أراهم يأخذونك فى قميص الأكمام ؟

وأدارت المحرك وتراجعت بالسيارة للخلف .. عندئذ رمى (روى) بجسده على مؤخرة السيارة متشبثًا بالإيريال .. ، فلم يكن أمامها سوى أن تندفع للأمام وتدوس الفرامل فجأة فيطير (روى) من مكانه .. وتواصل هى الاندفاع بالسيارة مبتعدة ..

الطريف فى الأمر هو أن (روى) ـ حين نهض مهشم الأوصال من سقطته ـ وجد نصف دستة من الجيران والمارة واقفة تراقبه خلف السور ..

ابتسم فى حرج ودلف إلى داخل الدار ليواصل ما بدأه من عمل .

وعلى صوت الهراء والتمثيليات السخيفة القادمة من جهاز التلفاز ؛ ظل (روى) يعمل فى غرفة المعيشة لعدة ساعات دون طعام ولا شراب ولا كلل ..

لقد بدأ الهيكل العملاق يُولد .. هيكل شىء عملاق يتعالى شيئًا فشيئًا ..

ثم يأتى دور السلك الذى اقترضه من مسز (هاريس) ، وبه بدأ يخلق منحنيات أكثر تعقيدًا وأقل خشونة .. والآن

يصنع عجينة طينية من كل التراب الذى نقله من الحديقة .. ثم يغطى بها السلك ..

وفى الخامسة عصرًا تأمل ما فعله .. وغمغم فى ضيق :

ـ كلا .. ليس هذا هو الشكل المطلوب ..!

كان ارتفاع الشىء تسعة أقدام الآن .. مغروسة على محيطه شجيرات صغيرة هنا وهناك .. بينما جوانبه المنحدرة تقطعها خطوط حادة ..

لكنه لم يقتنع بعد .. (روى) ما زال غير راض ..

بدأ يغير مواضع بعض الشجيرات ، ويزيل بعض المرتفعات .. حتى ..

ـ تمامًا !.. هذا هو الشكل الصحيح !

ولم يكن يدرك أن هذه هى المرة الثالثة ـ بل الرابعة ـ التى يمارس فيها هذا العمل .. مرة مارسَه بكريم الحلاقة .. ومرة مارسَه بالبطاطس الممهوكة .. ومرة مارسَه بالطين جوار (بارى) الصغير حين ساعده فى تشكيل الجبل النموذج الذى كان الطفل يصنعه ..

لكنه هو هذه المرة .. لقد خرج للوجود نسخة طبق الأصل من الجبل الحقيقى ..

أخيرًا يلتقط (روى) أنفاسه ويهدأ بالًا .. لقد كانت رغبة مجنونة تحركه كى يصنع هذا الشىء .. وقد حدث ..

لقد ضحى بالكثير كى يصنع هذا النموذج الضخم .. ولكن ما معناه بعد كل هذا ؟.. وما المقصود منه ؟..

جهاز التلفاز (كان يستخدمه الآن كمذياع) يصبّ الهراء فى المكان .. الهنود حرقوا المزرعة فى مسلسل (بونانزا) .. و (لوسى) فرّت من العمل لتقابل رئيسها ..

انهار الشاهد تحت وطأة أسئلة (بيرى ميسون) المحنكة .. و ...

ـ (ماجى) .. ما هو سرّ نظافة غسيلك ؟

ـ لم تعد رائحة العرق تضايقنى منذ عرفت مزيل العرق كذا كذا ..

ترك (روى) جبله .. واتجه للهاتف ليطلب (رونى) عند أمها .. لكن الأم قالت فى فتور :

ـ آسفة يا (روى).. لكنها لاترغب فى الحديث إليك ..!

ـ ناديها .. أرجوكِ !

ثم إنه ظل ينتظر بضع ثوان والتوتر يمزقه .. ثم .. فجأة .. سمع صوت التكة المميز لوضع أحدهم السماعة هناك !.. جن جنونه وأعاد طلب الرقم ، لكنه وجد الهاتف مشغولًا هذه المرة .. لقد رفعت (رونى) السماعة ..!

وضع السماعة ونهض ـ شارد الذهن ـ يتأمل شاشة التلفاز ..

إنها نشرة أخبار التاسعة ..

ها هو ذا شاب مصفف الشعر بعناية يرمق الكاميرا ويبتسم :

ـ مساء الخير .. كارثة حدثت عبر خطوط نقل إمدادات الجيش .. تسرب للغازات السامة يؤدى إلى أكبر إخلاء يحدث فى تاريخ المنطقة ، ومسرح الأحداث هو (برج الشيطان) فى ولاية (وايومنج).. مراسلنا (شارل ماكدونل) يقدم تقريره ..

وظهر المذكور مرتديًا معطفًا ويحمل فى يده (مايكروفونًا) صغيرًا أمام خلفية من الشاحنات تتحرك ، وعلى البعد ظهرت قمة جبل ما ..

ـ إنه وقت الغروب فى (وايومنج) .. بينما ألوف من الناجين يبتعدون عن مكان الكارثة ، والسبب .. ثلاث شاحنات محملة بغاز الأعصاب شديد الخطورة .. كانت الشاحنات تنقله للتخلص منه حين حدث انهيار أدى لتسرب حمولتها عند منطقة (والكاشى) .. والآن تمشط القوات البرية ومشاة البحرية منطقة قطرها مائة ميل يقع مركزها فى القمة المعروفة باسم (برج الشيطان) ..

وظهرت على الشاشة صورة مقربة لهذه الهضبة ..

ـ يا للسماء !

وفى اللحظة التالية كان (روى) راكعًا أمام شاشة التلفاز يرمق فى ذهول برج الشيطان .. الجبل الذى انتهى لتوه من صنعه .. الجبل الذى أرق منامه طيلة الأيام الماضية ..

نفس الجوانب المتعرجة والقمة المسطحة .. ذات الأشجار .. ذات .. كل شىء !

صرخ بأعلى صوته :

ـ (رونى) !.. أنا لست مجنونًا !

لم يكن هذا وليد عشوائية عقل مريض .. بل كان له هدف .. له معنى ..

ثم توقف عن الصراخ وبدأ يدرس موقفه ..

ستكون رحلة عسيرة حقًا إلى (وايومنج) ..

والكارثة أنه سيقوم بها وحيدًا ..

★ ★ ★



وظهرت على الشاشة صورة مقربة لهذه الهضبة ..

٤ ـ إلى برج الشيطان ..

كانت (جيلان جيلر) تتدهور فى تلك الآونة ..

لقد فقدت كيلوجرامات كثيرة منذ رحيل (بارى) ، واختلت حالتها النفسية .. فلم تغادر الدار طيلة الفترة الماضية ..

وفى غرفة المعيشة التى اختارتها لعزلتها ؛ بدا المكان كأنه معرض لعمل فنى واحد متكرر .. آلاف الرسوم بالفحم لنفس الجبل الذى أتعب (روى) فى تقليده ..

فيما عدا ذلك كانت تفتح التلفاز أحيانًا كى لا ترى ولا تسمع شيئًا على شاشته .. لكنها ـ فى هذه الليلة ـ قررت أن تتابع نشرة المساء ..

وكان أن رأت برج الشيطان على الشاشة وسمعت صوت المذيع :

ـ يراقب الجيش وقوات الحرس الوطنى عمليات الإخلاء .. وقد تم إبلاغ العائلات التى تم إخلاؤها أن الخطر سيزول بعد ٧٢ ساعة حين يهبط تركيز السمّ إلى خمسين جزءًا فى المليون ، وهذا يعنى أن الجميع سيعودون إلى ديارهم قبل عطلة نهاية الأسبوع ..

هرعت إلى رسومها لترى ذات البرج ـ أو الجبل ـ الذى رسمته مرارًا .

وبعد دقائق من الشرود استجمعت أجزاء روحها المبعثرة .. وحملتها إلى ...... الحمام ، فاغتسلت وجففت شعرها ومشطته .. ثم حملت حقائبها مغادرة الدار .. داعية الله أن يكون هذا هو الطريق إلى (بارى) ..

★ ★ ★

فى نفس اللحظات تقريبًا كان (روى) يستحم ويحلق ذقنه ..

كان فى حوزته عشرون دولارًا .. ثم وجد عشرين دولارًا أخرى حيث أخفتها (رونى) فى مؤخرة فريزر الثلاجة حيث لن يجدها اللصوص .. وشاعرًا بالإثم هشم حصالة نقود (براد) ليجد بها أربعة دولارات ..

وفى الثامنة والنصف صباحًا ذهب إلى البنك التجارى ليسحب أربعين دولارًا من رصيده البالغ اثنين وأربعين دولارًا ..

والآن يأتى دور حافلة الساعة التاسعة التى نقلته إلى (سنسيناتى) ..

وفى الحادية عشرة وصل إلى المطار ليسأل الموظفة عن طريق مختصر .. فكان أن أوصته برحلة جوية إلى (دنفر) ثم توصيلة إلى (شيين) ..

ذهب ليبتاع ورقًا ومظروفًا وجلس ليمارس هذه المهمة العسيرة .. كتابة خطاب لأطفاله ..

على المظروف كتب أسماءهم : (براد) - (توبى) - (سلفيا) ..

بدت له الأسماء غريبة لأنه لم يكن قد كتب لأحدهم من قبل ..

- أطفالى الأعزاء :

سأكون بعيدًا لفترة .. فإذا ما عُدت ...

وتوقف لبرهة ثم شطب الجملة الأخيرة ، وكتب :

- .. عندما أعود ستكون لدىَّ قصة مسلية أحكيها لكم ..
يجب أن أفعل ذلك .. فلا يوجد حل آخر لدىَّ ..

وهنا صارت الرؤية متعذرة فأدرك أنه دامع العينين .. لكنه واصل الكتابة :

- ساعدوا أمكم .. وأنا واثق من قدرتها على الاعتماد عليكم ..

ولكن .. لا داعى للكذب يا (روى) ..
بالتأكيد سيكرهك الأطفال فيما بعد مالم يكرهوك فعلًا الآن ..

يجب أن توضح لهم الأمر أكثر .. فهم يستحقون ذلك بالتأكيد ..

- أعلم أن كل هذا لا يعنى لكم شيئًا ولا لأمكم .. لكن لتعلموا أن كل إنسان يملك رغبة سرية .. أمنية .. وهذا الشىء أقوى منى بمراحل ..

كانت الدموع قد بدأت تغرق خديه وتنساب من أنفه ..

هو ذا جالس معدوم الحيلة يكفكف عبراته .. يوقع الخطاب بـ (بابا) .. ويضعه فى المظروف ثم يرميه فى صندوق البريد :

وحين دوى الصوت فى الميكروفون يعلن قيام رحلته كان ما زال واقفًا جوار صندوق الخطابات يرمقه بذهن متبلد وكتفين محنيين ..

★ ★ ★

كان (مات هيرتز) يمقت كل شىء فى الوجود فى هذا اليوم العصيب .. يمقت عمله فى تأجير السيارات .. يمقت استبدال الإطارات .. يمقت وضع البنزين .. يمقت (روى نيرى) قبل أن يراه ..

فما إن رأى هذا الأخير حتى هتف بطريقته الفظة :

- هذا أنت ؟.. لقد تأخرت وقتًا لعينًا حتى وصلت .. ها هى ذى السيارة الجيب التى طلبت بالهاتف أن تستأجرها .. إنك أيها اللعين محظوظ .. كثيرون أرادوا أن

يأخذوها بسبب الظروف القذرة .. ولولا الحجز اللعين الذى أجريته لتخلصت منها (فى داهية) منذ أسبوع .. وقع هنا وهنا .. أين (المدعوقة) رخصة قيادتك ؟

احتج (نيرى) فى حدة :

ـ لم أعتد هذه المعاملة الـ ....

ـ لا عليك .. حين تنتهى من هذه السيارة اللعينة ؛ دع المفاتيح فى مطفأة السجاير القذرة لأنى سأرحل الآن ولن أكون هنا حين تعود ..

وأوصل (نيرى) إلى الجراج وناوله المفاتيح .. ثم ـ دون كلمة أخرى ـ ركب سيارة (بيك أب) عتيقة وذاب وسط سحابة من الأتربة ..

فتح (نيرى) باب السيارة .. أدار محركها .. وفتح المذياع محركًا المؤشر إلى حيث نشرة الأخبار :

ـ آلاف بلا مسكن .. وزارة الدفاع تعلن المناطق التالية غير آمنة وداخل النطاق الأحمر .. كل الطرق شمالى (كراوهارت) .. كل الطرق المؤدية إلى (جراند تيتون) .. كل ما هو غربى بحيرة (يلوستون) .. كل ما ...

أغلق (نيرى) المذياع وتفحص خريطة الطرق ..

غاز أعصاب أو لا غاز أعصاب .. لا يهم .. هو ذاهب إلى (برج الشيطان) مهما كانت النتائج ..

إن سيارته هى الوحيدة ـ عبر أميال ـ المتجهة غربًا إلى (تيتون) .. أما الطرق الشرقية كلها فكانت مزدحمة بسيارات الفارين من الخطر ..

وجوار محطة القطار كان الطريق مسدودًا بقوات من الحرس الوطنى شاكى السلاح تلتمع وجوههم فى ضوء الشمس .. بينما (سيرجنت) يمسك بمكبر صوت صائحًا فى الحشود :

ـ على كل من يحمل بطاقة زرقاء أن يتحرك سريعًا .. أما حاملو البطاقات الحمراء فعليهم الانتظار ..

الأغنام هنا وهناك مما يجعل حركة السيارات مستحيلة .. مشاجرات بين الرعاة وراكبى السيارات ..

طائرة هليكوبتر تحوم فوق الرءوس قاصدة مرتفعات (تيتون) ..

ضابط يدنو من (روى) حاملًا كشفًا مليئًا بالأسماء .. ويسأله :

ـ هل لك أقارب فى المنطقة الحمراء ؟

ـ نعم .. (سو ـ ألين) شقيقتى ..

ـ اسمها الثانى ؟

ـ (هنرسدورفر) ..

مضى إصبع الضابط يجوب الصفحات تحت حرف الهاء .. ثم غمغم :

ـ لا (هنرسدورفر) ..

صرخ (نيرى) متظاهرًا بالهلع :

ـ ربَّاه !.. إذن هى بعد فى نطاق الخطر ..!

ـ لقد أخلينا المكان تمامًا أمس ..

ـ نسيتم (سو ـ ألين) إذن .. ملاكى الصغير !

ـ مستحيل ..

تقلصت كفَّا (نيرى) على عجلة القيادة :

ـ إذن دعنى أر بنفسى .. إن (بابا) و (ماما) لن يغفرا لى ترك صغيرتهما تموت لمجرد أننى كسول أو ضعيف الشخصية ..

ـ اسمعنى يا سيد (هنرسدورفر) .. أنت تفهم الإنجليزية .. لن يدخل أحد هنالك ، وقد أعطانى الجيش صلاحية كاملة لإطلاق الرصاص على من يحاول التسلل .. فهل فهمت ؟!

تقلصت الابتسامة من وجه (نيرى) وأدار عجلة القيادة عائدًا أدراجه ، سامعًا عبارة أخيرة قالها أحد الواقفين للضابط :

ـ متطفل آخر .. هه ؟

ـ بالطبع .. إننى أستطيع شمهم من بعيد ولو فى قلب إعصار ..

حقًّا يا (روى) ؟

هل أنت مجرد (متطفل) آخر ؟.. بالطبع لا .. ربما أنت (باحث) أو (فضولى) .. من يدرى ؟

ربما أنت (ضيف مدعو) إلى حفل ما ..

لقد دمّر حياته بالكامل من أجل دعوة أرسلها إليه شخص ما .. وهذه الدعوة تقول بكل وضوح إن الحفل سيكون فى (برج الشيطان) ..

ولكن كيف تصل هناك ؟.. إن خمسين ميلًا مسافة كبيرة وربما تعرضت لإطلاق الرصاص عليك .. وربما تسممت بفعل غاز الأعصاب ..

وهنا شاهد رجلًا نحيلًا أصلع الرأس له فم واسع .. فم رجل يجيد الكلام ويحب الثرثرة .. كان هذا الرجل يقف وسط حشد من الناس صائحًا :

ـ يا سادة .. إن غاز الأعصاب (جى ـ إم) هو غاز عديم اللون والرائحة .. ولن تعرفوا أبدًا أنكم تستنشقونه إلا حين تتسع حدقاتكم .. وتسيل أنوفكم ، عندئذ ستلومون أنفسكم على أنكم لم تبتاعوا أحد أجهزة الإنذار التى باعها لنا الرجل الأصلع ..

وابتلع ريقه وأردف :

ـ وحين تسيل الدماء من أفواهكم وأنوفكم .. وحين تتقلص عضلاتكم ..

عندئذ سيقتلكم الندم يا سادة على عدم شراء جهازى ..

ورفع قفصًا صغيرًا رخيصًا به طائر أصفر صغير معدوم الحيلة .. وصاح :

ـ هذا العصفور يعطيكم ساعة إنذار كاملة .. سيموت بمجرد أن يشم أثر غاز الأعصاب .. بخمسين دولارًا فقط يا بلاش !

بدأ الناس يخرجون نقودهم .. على حين استطرد الرجل :

ـ لدىّ كذلك حمام بثلاثين دولارًا فقط .. إنه يعطيك خمسًا وأربعين دقيقة .. ليس ساعة كاملة مثل العصفور .. لكنه أرخص ..

دنا (نيرى) من الرجل طالبًا عصفورين .. فصاح هذا :

ـ عصفوران خير من واحد .. وحمامة خير من لا شىء ..

وحمل (نيرى) القفص عائدًا إلى السيارة حين سمع صوتًا يناديه باسمه :

نظر .. فوجدها تقاتل للخروج من وسط الزحام .. (جيلان) !..

قاتل بدوره للوصول إليها .. الجنود يصرخون .. الأغنام تتزاحم .. صراخ بائع الطيور .. قطار الإخلاء يهدر .. الشمس تدنو نحو الغرب ..

أخيرًا أمسكها ..

أمسكها بين زحام الأغنام والبشر .. امرأة تصرخ .. شاب يضع (ووك مان) على أذنيه .. رجال يحملون أقفاص الإنذار .. أب يحمل طفليه على كتفيه ..

أمسكها وقال لها ـ وقالت له ـ أشياء لم يسمعها أحدهما ..

أمسكها وقادها ـ عبر طوفان البشر ـ إلى السيارة ، فجلست هناك تغطى عينيها بيديها وتنتحب .. أدار محرك السيارة وبدأت الحركة ..

ـ (روى) .. ـ قالت ـ أنا سعيدة أننى وجدتك ..

ـ وكذلك أنا ..

ـ أين زوجتك والأطفال ..؟

لم يردّ لأن الطريق كان مسدودًا بسيارة (جيب) وجنديين من الحرس الوطنى .. يتأكدان من أن أحدًا لن يحاول مغادرة الطريق الرئيسى ..

- لقد تركونى .. بدوت لهم مجنونًا أكثر من اللازم ..
ثم غمغم وهو ينظر إلى جانب الطريق :
- اسمعينى يا (جيلان) .. نحن لم نأت هنا لنعود أدراجنا ..
- لكنهم سدّوا الطرقات ..
- لا بد من وسيلة .. إن هذا البلد كبير ويمكن الاختفاء فيه ..
كانت الحقول على جانب الطريق تفصلها عنهم أسوار من الأسلاك الشائكة .. ولقد بدأت الأسلاك تصدأ فى عدة مواضع ..
تراجع بالسيارة للوراء .. ثم ضغط دواسة البنزين بأقصى قوة فأنّ المحرك .. وتصاعد غبار (وايومنج) من تحت العجلات ..
واصطدمت مقدمة السيارة بالسلك الشائك .. فتمزق ..
واندفع (روى) عبر الفتحة ..

★ ★ ★

الآن تمضى سيارة (روى) مهتزة فوق المطبات العديدة ..
- (جيلان) ربطت حزام النجاة ومضت تتأمل العصفورين فى القفص الذى وضعته على حجرها .. ثم واصلت حديثها :

- من أجل (بارى) نزح رجال الشرطة النهر .. قلت لهم إنه لم يغرق لكنهم لم يعيرونى انتباهًا .. دخلوا كل منزل فى الجوار وفتشوه .. وسألونى عما إذا كنت قد لمحت أغرابًا فى الفترة الماضية ..
كان (روى) يقود السيارة كمجنون ، محركًا عجلة القيادة بعنف كى يتفادى الصخور هنا وهناك ..
وكانت (جيلان) تقاوم الشعور بالغثيان ..
لم يكن هناك بشر ولا حيوانات ولا حتى طرق ممهدة .. فقط ظل يأمل أن تتحمل العجلات وماصّ الصدمات كل هذه الإهانة حتى يصلا إلى برج الشيطان ..
ظل كذلك يأمل ألا يكون أحد - ممن رأوه يهشم السلك الشائك - قد كلف نفسه عناء إبلاغ رجال الحرس الوطنى ..
والآن ها هو ذا يهشم سلكًا شائكًا آخر مندفعًا عبر طريق يغطيه الحصى إلى برج الشيطان ..
ومعًا رأياه على بعد ميل فأوقف (نيرى) السيارة ..
- إنه .. إنه كما تخيلته بالضبط ..
ولم يستطع التعبير أكثر ..
ذلك الشعور العجيب بأنك قد نجحت فى تجميع أجزاء اللغز حتى صار لها معنى أخيرًا ..
كان البرج يقف وحيدًا .. متفردًا ..



كان البرج يقف وحيدًا .. متفردًا ..

القشعريرة تزحف عبر كتفى (نيرى) حين أدرك أنه صنع نموذجًا متقنًا لهذا الشيء دون أن يراه ..

سعل لينظف حلقه .. ثم غمغم :

ـ أعتقد أننا يجب أن نتحرك وإلا رأونا ..

ووجدا محطة بنزين منسية عن قرب ، فذهب (نيرى) إليها وحاول تشغيل الطلمبة .. ثم دسّ الخرطوم فى خزان وقود سيارته .. لم تزل هناك كهرباء لحسن الحظ .. وأخيرًا امتلأ الخزان ..

وهنا سمعا صوت (الهليكوبتر) ..

جذبها من ذراعها ودخلا إلى كابينة المحطة آملين أن تمر الطائرة دون أن تلاحظ شيئًا ..

كانت مجموعة من طائرات الهليكوبتر الخاصة بالقوات الجوية تدنو منهما ..

وثمة طائرة (شيين) انفصلت عن الحشد ..ثم هبطت بسرعة حتى كادت تلامس سقف الكابينة ، وشاهدا رجلا يطلّ من الهليكوبتر مرتديًا منظارا أسود وفى يده كاميرا فورية يصوبها ...... نحوهما ..

أطلق (روى) سبّة .. ومدّ يده إلى جيبه مخرجًا ورقة بعشرة دولارات ..

لوّح بها عاليًا ليراها الرجل فى الطائرة .. ثم اتجه ليضعها تحت صخرة فوق طلمبة البنزين ليعلن أنهما ليسا لصين ..

وفى تؤدة استدارت الطائرة متجهة لجبل الشيطان ..

- إذن .. هيا بنا قبل أن يعودوا ..

وركب السيارة مع (جيلان) منطلقين فوق الحصى بسرعة سبعين ميلًا فى الساعة .. وكادا يصلان لهدفهما دونما مشاكل ..

لولا ذلك الطائر ..

الطائر الصغير الذى وجداه على الأرض ميتًا راقدًا على ظهره ، وقد ارتفعت قدماه لأعلى .. مما دفعهما إلى إيقاف السيارة لتدارس الموقف ..

فى صمت نظر (روى) لـ (جيلان) .. ثم تساءل :

- أتريدين العودة ؟

- ماذا قلته يا (روى) ؟

- إن العصفورين فى حوزتنا بخير .. إن قصة غاز الأعصاب هذه مزوّرة بالكامل .. أؤكد لك ذلك ..

لكن الاحتياط لم يمنعهما من تكميم أنفيهما بالمناديل ..

وواصلا الرحلة ..

واصلاها إلى أن وجدا أربع سيارات لها لون زيتونى مميز .. واقفة فى صف ، مغلقة الطريق أمامهما .. ، ونظرا للخلف فوجدا سيارات أخرى تسدّ طريق العودة !

تراجع (روى) للوراء .. وأدار عنقه ليرى ما هنالك من النافذة الخلفية .. ودون كلمة أخرى رفعا زجاج النافذة وأمّنا الأبواب ..

ثم انفتحت أبواب السيارات ، ورأيا أشكالًا تخرج منها .. كأنها بشر مصنوعون من الذهب ..

كلهم يرتدون ثياب رواد الفضاء .. ذهبية من قطعة واحدة ، وعلى ظهورهم خزانات تحوى شيئًا ما ..

خطر لـ (روى) أنهم يبدون كأنهم يعلنون عن فويل (ألومنيوم) للطهى ..

ودنا أحد الرجال بحذر من السيارة .. فى يده لوحة صغيرة سوداء كتب عليها بالطبشور رسالة بخط واضح :

- كيف تشعرون ؟

فقد (روى) أعصابه من سخف السؤال .. فأنزل الزجاج وصاح :

- وكيف تشعرون أنتم أيها المهرجون ؟

أشار الرجل لهما كى ينزلا من السيارة ..

ثم دنا رجل آخر يضع على بذلته الذهبية علامة الصليب الأحمر ، وتناول القفص من يدى (جيلان) ثم دار حول السيارة ليرفع القفص أمام عينى (روى) ..

كان العصفوران راقدين على ظهرهما عاجزين عن الحراك ..!

فلم يستطع (نيرى) الكلام ..

ودون كلمة أخرى ناولوا كلا منهما قناع غازات وأركبوهما عربتين منفصلتين .. عربتين من نوع الـ (فان) الشبيهة بسيارات الإسعاف ..

كانت العربة من الداخل كاملة الاستعداد الطبى .. وقد أدرك (روى) أن هؤلاء الرجال هم جميعًا أطباء .. لكنه لم يستطع النظر خارج العربة لمعرفة وجهتها ..

كانت الشمس قد غربت حين وصلوا وجهتهم الغامضة ..

فتحوا له باب العربة الخلفى لينزل ..

وعلى ضوء الغروب رأى خيامًا وسيارات متفرقة وحشودًا من الرجال الذهبيين .. أقرب شىء إلى معسكر خاص بالجيش لغرض ما ..

ونظر الى ساعته .. كانت السابعة مساء ..

أدخلوه - دون كلمة واحدة - إلى قفل هوائى يقود إلى مقطورة صغيرة بحجم التابوت ، وجلس على سرير فحص يرمق الرجلين اللذين ينزعان قناعيهما ..

أحدهما ناحل أشيب الشعر والآخر صغير السن والحجم ..

قال وهو يرمق الرجل الأشيب فى تهكم :

- هل أنت المعتوه الأكبر ؟

قطب الرجل جبينه ومال على مرافقه يسأله بالفرنسية عن معنى هذا ..

ثم إن المرافق قال لـ (روى) :

- إن وقتنا ضيق يا سيدى .. أقدم لك المسيو (لاكومب) .. سيسألك بعض أسئلة ونريد إجابات صادقة ومباشرة ..

- وكذلك أنا .. أين (جيلان) ؟

قال (لوفلين) فى رزانة :

- إن السيدة فى أمان الآن ..

ثم إن (لاكومب) اقترب من (نيرى) يتأمله بعينيه الزرقاوين ، ثم أطلق سيلًا من الفرنسية ترجمه (لوفلين) على الفور :

- هل حقًا تعرف الخطر الذى تواجهه أنت ومرافقتك ؟

شعر (نيرى) بالحيرة .. هل يردّ موجهًا كلامه للفرنسى صاحب السلطة أم للأمريكى صاحب الإنجليزية ؟
ثم إنه تساءل :
- أى خطر ؟
- السموم التى فى الجو ..
- لا توجد سموم ..
- لو أن الريح تحركت جنوبًا لما كنت هنا الآن معنا ..
والآن نريد منك أن تجيبنا عن بعض الأسئلة ..
ومدّ يده مخرجًا لوحة من التى يدوّن عليها الأطباء أحوال المرضى :
- هل تعانى أرقًا فى الفترة الأخيرة ..؟
- لا ..
- صداع رأس ؟
- لا ..
- هل عولجت من خلل عقلى ؟
- ليس بعد !
- كوابيس ؟
- لا ..
- أى مرض جلدى مؤخرًا ..؟
- لا .. إلا إذا ..
- ماذا ..؟
- حدث حرق فى جانب وجهى .. لكنه لم يكن بفعل الشمس .

التمعت عينا الرجل الفرنسى فى اهتمام .. ثم سأله عما إذا كان واثقًا من عدم رؤية كوابيس .. فغمغم (روى) :
- لا .. ربما إذا استثنينا مشهد هذا الجبل الذى ...
تصلب القلم فى يد (لاكومب) :
- أرجو أن تكون دقيقًا ...
- لا شىء .. مجرد وهم ..
- سيد (نيرى) .. هل مررت فى المدة السابقة بلقاء حميم ؟.. لقاء مع شىء غير معتاد ؟
هنا بدأ القلق يراود (نيرى) .. من أنتم أيها الرجال ؟.. لكن (لاكومب) واصل السؤال :
- هل هناك خمس نغمات تؤرق مسمعك فى الفترة الأخيرة ، وتتردد باستمرار ؟
- من أنتم أيها الرجال ؟
ثم استشاط غضبًا .. فصاح :
- أنا لست من هواة التحقق من أخبار التلفاز .. تقولون إن هناك غازًا .. جميل .. ولكن ما علاقة هذا بكونى أرى برج الشيطان مئات المرات فى أحلامى دون أن أكون قد جئت هنا مرة واحدة ..؟!
كان هذا هو دور (لاكومب) ليشعر بالدهشة هذه المرة .. وهب علي قدميه ليعرف .. لولا أن دق الباب ودخل رجل ذهبى اخر يقول :

ـ القائد يطلب أخذهما إلى الحافلة وترحيلهما ..

لكن (لاكومب) لم يعبأ به .. جلس جوار (نيرى) وسأله فى مودة :

ـ لقد زار هذا الجبل عالمك مئات المرات قبل أن تراه .. أليس كذلك ؟

ـ بلى ..

ـ وتشعر أنك .... لنقل ... مجبر على أن تكون هنا ..؟

ثم إن (لاكومب) تناول مظروفًا وأخرج منه بعض الصور الفوتوغرافية عرضها على (روى) قائلًا إنها صور زملائه الذين حاولوا الوصول للجبل .. فهل تعرفهم جميعًا ؟

ـ لا أعرف أحدًا سوى هذه ..

وأمسك صورة (جيلان) ..

نهض (لاكومب) قاصدًا الباب مرددًا :

ـ يجب أن تعرف يا سيدى أنك لست وحيدًا .. إن لك أصدقاء كثيرين و ... إننى أغبطك !

ومرَ الثلاثة عبر قفل الهواء إلى العالم الخارجى ..

سماء الغرب حمراء بلون الدم فى حين استحالت الجهات الأخرى إلى لون المخمل الأزرق القاتم ..

وقاداه إلى هليكوبتر هجومية خاصة بالجيش تدور

مراوحها ، لكنها ما زالت بعد على الأرض .. وإذا بجندى مسلح يشير له كى يصعد ..

صرخ (روى) فى هستيريا :

ـ كلّا .. لن أعود إلى (إنديانا) .. لن أعود أبدًا أدراجى ..

انفتح باب الطائرة .. واستطاع أن يرى داخلها سبعة أو ثمانية مدنيين كلهم يرتدون أقنعة الغازات .. وكانت (جيلان) بينهم ..

وهكذا صعد (روى) إلى داخل الطائرة ليتخذ مكانه بين ركابها ..

فى حين اتجه (لاكومب) إلى قائد الطائرة قائلًا :

ـ لا يمكنك الإقلاع ..

ـ إن عندى أوامرى من القائد الأعلى ..

ـ أنا الذى آمرك هذه المرة ، ألا تفعل ..

ـ آسف يا سيدى ..

كان يتلفظ بلفظة (آسف) بشكل يدل على أنه يعنى العكس تمامًا ..

كذا تحولت كلمة (سيدى) على لسانه إلى سبة يندى لها الجبين ..

توسل (لاكومب) :

ـ إذن أمهلنى خمس دقائق ..

هزّ الطيار رأسه ورفع ثلاثة أصابع ..

وهكذا ركض (لاكومب) و (لوفلين) نحو مقطورة الاتصالات ..

★ ★ ★

كانت المقطورة مظلمة تمامًا بالداخل لتتيح لرجال الرادار رؤية أهدافهم ..

وفى منتصفها وقف ضابط أمن المشروع الذى يسميه العاملون باسم (وايلد بيل) إلا أن (البادج) على صدره كان يحمل اسم (والشى) ..

كان فى نفس سنّ (لاكومب) ـ الخامسة والأربعين ـ قصير القامة متين البنيان .. وكان له صوت عال وحشى كأنه يعتقد المحادثة بين البشر بعضهم والبعض تحتاج إلى نفس المجهود الذى يحتاج إليه برج المراقبة للاتصال بطائرة .. أو نفس المجهود الذى تحتاج إليه وكالة (ناسا) لمخاطبة قمر صناعى ..

صاح (لاكومب) فى عصبية :

ـ لا يمكنكم ترحيلهم .. سأكون مسئولًا عنهم ..

رفع الميجور (وايلد بيل) كفه اللحمية .. وزمجر :

ـ لحظة يا سيد .. ليست مسئوليتك هذا الجزء من عملية (زهرة مايو) .. إنها مسئولية الأمن .. أى مسئوليتى ..

ـ إن لهذه العملية هدفًا واحدًا .. ومطلبنا يخدم الهدف ولا يضره ..

ـ ربما .. لكن هناك شيئًا اسمه النظام فى الجيش .. ومن دونه يختل كل شىء ..

كانت الكلمات تتدافع على لسان (لاكومب) فتعثر لسانه مرارًا فى البحث عن لفظ انجليزى يعبر عما يريد قوله ، وبحماس شرع (لوفلين) يساعده بالترجمة التى حاول أن يكسبها ذات انفعالات الفرنسى :

ـ إنهم عدد قليل من الناس .. كلهم رأوا رؤيا محددة .. وكلهم وجدوا أنفسهم مرغمين على المجىء إلى هنا ..

ـ ربما كان هناك شىء ما .. لكننا عاجزون تمامًا عن تمييز المخرّب من الفضولى من الصحفى من الذين يرون رؤيا صوفية .. يجب أن نعامل الجميع على قدم المساواة ..

صاح الفرنسى وقد نفد صبره :

ـ إيكوتيه موا ! (أصغ لى) .. هؤلاء تسعة أشخاص لا رابط بينهم .. كلهم رأوا برج الشيطان وكلهم رسموه

مرارًا .. ثم وجدوا أنفسهم مضطرين إلى القدوم إليه برغم الخطر الداهم .. ، إنها ظاهرة اجتماعية .. ربما أهم ظاهرة نصادفها فى المشروع .. ويجب التوقف عندها ..

- هذا لا يعنينى .. فلترحل الطائرة !

أمسك (لاكومب) بجاكت القائد الجلدى وهزّه فى عنف :

- لا بد أن هناك ألوفًا رأوا هذه الرؤيا ولم يأتوا ..

لم يكن أحد قد أمسك بالميجور (والشى) من الجاكت منذ كان ملازمًا ..

وكان هذا أقصى ما يستطيع تحمله ..

- اسمع يا صاحبى .. أنت ستنتهى بمحاكمة عسكرية ..

- إيكوتيه موا .. تِت دو ميرد !!

نظر الميجور نحو (لوفلين) فى حيرة وتساءل :

- ماذا يقول بالضبط ؟ (*)

★ ★ ★

فى الطائرة جلس (روى) جوار (جيلان) مرتديين قناعى الغاز يتبادلان النظرات :

ولم يكن (روى) بحاجة إلى معرفة ما سيحدث لهما ..

سيحملان بعيدًا ويعودان إلى ديارهما .. وهكذا ينتهى كل شىء .. أبدًا لن يعرف ما تعنيه الهضبة ولا النغمات الخمس ..

(★) سبة فرنسية لا نجرؤ على ترجمتها .. لكنها كناية عن الغباء !

وأبدًا لن يعود (بارى) إلى أمه ..

هو واثق تمامًا من أن غاز الأعصاب هو مجرد إشاعة أطلقها الجيش لتخويف الناس وإخلاء المنطقة .. لكن العصفورين قد ماتا فى قفصهما .. لقد رآهما بعينيه .. فهل يكون الجيش قد أطلق فعلًا بعض نفحات غاز الأعصاب ليؤكد الإشاعة ويطهر المنطقة من المتطفلين ؟

المشكلة أن القصة قد انتهت بالنسبة له ولـ (جيلان) من قبل أن تبدأ ..

وفجأة نهض .. وقد اعتزم أمرًا ..

أخذت العيون تراقبه فى فضول ..

بدقة مدّ يده إلى قناع الغاز وفكه عن أنفه ثم ألقاه أرضًا ..

كان هذا أشجع عمل قام به فى حياته .. وأسرع عمل .. وأكثر عمل تأثيرًا .. فهل هو - أيضًا - آخر عمل ؟..

أخذ شهيقًا عميقًا ..

وفى اللحظة التالية انتزعت (جيلان) قناعها هى الأخرى ..

هتف رجل فى السبعين من عمره :

- ستموتان !

قال (نيرى) فى ثقة :

- لا خطر هنا يا سيد .. كل ما فى الأمر أن الجيش لا يريد شهودًا ..

ثم نظر نحو العجوز .. وتساءل :

- كيف وجدت المكان هنا ؟

- كان شكل الجبل يؤرقنى .. لهذا بحثت عنه فى أطلس (الجبال الشهيرة فى نصف الكرة الأرضية الغربى) .. هل تعرف أن الرئيس (روزفلت) فى العام ١٩٠٦ اختار هذا الجبل ليكون أثرنا القومى الأول ..؟

وهنا نهض شاب طويل الشعر وانتزع قناعه ليأخذ شهيقين عميقين .. وتنهد :

- يا الله !.. الهواء أنقى من (لوس أنجلس) ..!

عندها .. انتزع اثنان آخران قناعيهما ..

- من يرغب فى البقاء ؟

صاح (روى) فى حماس .. فرفعت (جيلان) يدها .. فالشاب طويل الشعر .. فالاثنان الأخيران ، بينما تحاشى الباقون نظراته ..

- اجروا نحو برج الشيطان ..!

قالها (نيرى) وهو يزيح باب الطائرة صانعًا فرجة تسمح لهم بالخروج . ثم وثب خارجًا مع (جيلان) وكل

من وافقوا على متابعته .. وثب وركض قاصدًا خط الأشجار ، وقد احتاج إلى أن يركل الحارس الواقف جوار باب الطائرة فى عنقه ليسقط أرضًا ..

لكن حارسين استطاعا القبض على الاثنين الآخرين ، فى حين أخذ (روى) يركض بكل ليفة من عضلاته قاصدًا الجبل .. الجبل الذى عاش فى كوابيسه كل هذه الأيام ..

فى مقطورة الاتصالات كانت مشادة (لاكومب) مستمرة مع (وايلد بيل) المتصلب ..

- أنت لا تفهم .. هؤلاء الأشخاص مدعوون .. مدعوون لحضور ما سيحدث .. والهدية التى قدمت لنا فى صحراء المكسيك هى تعبير عن حسن النوايا ..

وهنا توقف وقد لاحظ شيئًا ما خارج النافذة ..

استطاع أن يرى المحتجزين يحاولون الفرار نحو الأشجار ..

لم يعلق .. فقط ارتسمت ابتسامة غامضة على شفتيه ..

★ ★ ★

سار (روى) ومن معه عبر حزام الأشجار الموجودة عند قاعدة برج الشيطان ..

نظر للشاب القادم من (لوس أنجلس) وسأله لاهثًا :

- هاى .. اسمى (روى نيرى) ..

- (لارى باتلر) ..

- هيا بنا يا (لارى) نتوغل بين الأشجار ..

وهنا دوى صوت بوق إنذار .. ثم اندلعت عشرات الأضواء المتقاطعة تمسح المنطقة فى إصرار ..

وفى مقطورة الاتصالات وقف جندى لاهث أمام الميجور :

- كانوا أقوى منى يا سيدى ..!

- عددهم ؟

- ثلاثة .. الباقون فى أيدينا ..

زأر الميجور كالديناصور .. والتقط منظارًا مقربًا وخرج من المقطورة ..

وفى الظلام كانت ثلاث طائرات هليكوبتر قد بدأت ترتفع لأعلى مختبرة أضواءها المصنوعة من اليود والكوارتز .. بينما دستة من جنود القوات الخاصة يعبئون أسلحتهم .. وعلى عيونهم ثبتوا مناظير الأشعة تحت الحمراء ..

تفحص الميجور خط الأشجار بمنظاره ثم أمسك هاتف الميدان .. وزمجر :

- سأبعدهم عن الجبل خلال ساعة !

تعالى الصوت من جهاز الهاتف :

- أجر مسحًا ضوئيًا للجانب الشمالى .. واستعمل الأشعة تحت الحمراء ..

- طلبت ذلك بالفعل ...

- لو لم تجدهم حتى سعت (٠٨٠٠)[*] .. ابدأ برش الجانب الشمالى بـ (اى - زد - ٤) ..

تساءل (لاكومب) :

ما هو هذا الـ (اى - زد - ٤) ؟

- غاز منوم .. يعمل سريعًا ولا ينتشر .. سينامون عدة ساعات وبعدها ينهضون باحثين عن فنجان قهوة ..

همس (لاكومب) فى مرارة :

- هذا ليس من حقنا .. إنهم ينتمون لهذا المكان أكثر منا ..

★ ★ ★

كان الهاربون الثلاثة يعبرون أشجار الشربين عند قاعدة برج الشيطان .. وفى كل لحظة يتعثر واحد منهم فيسقط ثم يتشبث بالغصون ..

إنه الليل ..

وهنا تعالى هدير مراوح ثلاث طائرات هليكوبتر تحوم حول القمة ، باحثة بأضوائها هنا وهناك ..

تنهد (لارى) وهمس :

- لقد أعطونا أكثر من حقنا ..

(★) الساعة الثامنة بلغة الميدان .



كان الهاربون الثلاثة يعبرون أشجار الشربين عند قاعدة برج الشيطان ..

وفى هذه اللحظة اختفت أضواء الطائرات ، إذ رحلت لتتفحص الجانب الآخر من الجبل ..

همست (جيلان) فى تردد :

ـ توجد أربعة ممرات تقود إلى أعلى الجبل .. أذكرها من رسومى .. وكلها تبدأ من الجانب الشمالى الشرقى ..

قال (روى) مفكرًا :

ـ إنها وعرة جدًّا .. فى حين أعرف طريقًا يلتف ببطء ونعومة حول الجبل ..

قالت (جيلان) :

ـ لم أعرف ذلك .. كنت أرسم زاوية واحدة فقط فى كل مرة ..

ضحك (روى) ضحكة قصيرة :

ـ فى المرة القادمة جرِّبى النحت !

★ ★ ★

وفى ذلك الوقت ..

كان عدد من سلاح المهندسين يقومون بنقل سعة عشرة جالونات من الصفائح الحاوية للمادة (إى ـ زد ـ ٤) إلى طائرات الهليكوبتر بينما المراوح تزأر منذرة بالويل ..

كان الميجور (وايلد بل) يعرف أن كتيبة القوات الخاصة قد انتشرت فى الجبل ، وبدأت الصعود قائمة بالتمشيط مستعملة الأشعة تحت الحمراء ..

من ثم أمسك هاتف الميدان :

ـ اطلبوا الجانب المظلم من القمر وقولوا له أن يخلى الجنود من الجهة الشمالية .. سنبدأ رش المادة ..

وبدأت الطائرات العمودية ترتفع واحدة تلو الأخرى .. ثم بدأت تختفى فى الظلام وأضواؤها الحمراء والخضراء تتألق ..

نظر (لاكومب) إلى المشهد فى حسرة .. ثم هرع مع (لوفلين) إلى هليكوبتر عملاقة تنتظرهم ومحركاتها تزأر ..

وسرعان ما ارتفعت هى بدورها ..

وغابت فى الظلام ..

★ ★ ★

٥ ـ لقاءات من النوع الثالث ..

ـ والآن لنحاول اجتياز هذه الفَرجة ..

كان (لارى) قد انتهى تمامًا لهذا طلب من (روى) و (جيلان) أن يسبقاه إلى أن يلتقط أنفاسه ..

ـ ليكن .. سننتظرك على الجانب الآخر من الجبل ..

وبدأ (روى) يركض منحنيًا وخلفه (جيلان) ..

فما إن عبرا الفَرجة حتى ارتميا فوق أشواك الصنوبر يلهثان ..

الظمأ يقتلهما والعرق يغرق ثيابهما والجروح تملأ وجهيهما وأيديهما ..

وهنا لمحا (لارى) قادمًا من جهة اليسار على بعد مائة قدم ..

ـ (لارى) !.. من هنا !

وهنا دوى انفجار مروع من الضوء والضوضاء .. ولمحا هليكوبتر عمودية تحلق فوق قمم الأشجار ينبعث ضوء ساطع من بطنها .. ضوء يمسح المكان ..

وثبا على قدميهما .. وصرخ (روى) محاولًا أن يخرق ضوضاء المحركات :

- أنت فى مكان عار من الأشجار .. سيرونك !

- عليهم اللعنة !.. ماذا سيفعلون ؟.. يهبطون بالطائرة فوقى ؟

وهنا انحدرت الطائرة لأسفل ..

طيور صغيرة تغادر غصون الأشجار وقد أزعجها الهدير والضوء ..

الطائرة تحوم فوق (لارى) ، الذى غاب تمامًا عن فهم ما يحدث .. الأشواك تصدم وجهه .. ورائحة الغاز (إى - زد - ٤) .. بدأ يفقد اتزانه لكنه لم يدرك ذلك ..

رفع إبهامه كأنما يشير لسيارة بطريقة الأوتوستوب .. وصاح :

- هل تريان ؟.. إنهم يقومون برش المحاصيل !

ثم بدأت عضلاته ترتعش .. ورأسه يتراقص ..

وكان (روى) و (جيلان) قد ابتعدا خمسين ياردة عن المشهد وقد أدركا ألا جدوى من البقاء أكثر .. زحفا على ركبتيهما زحفًا ..

كان (لارى) يسقط على الأرض .. يرتجف بعصبية .. ثم يهمد تمامًا .

همست (جيلان) وهى ترتجف :

- لن نتركه .. فلنحضر جسده إلى هنا ..

- لو كان نائمًا فهذا شىء يمكنه عمله حيث هو .. لا داعى لإحضاره هنا ..

- وإذا كان يحتضر ؟

- إذا كان يحتضر ... - قالها وأخذ نفسًا عميقًا - فنحن مثله من الآن فصاعدًا ..!

وواصلا الزحف بين أشجار الصنوبر ..

كان ضوء ساطع قادمًا من أسفل عند الحافة ..

زحف (روى) على بطنه ليرى ما هنالك .. ومدّ يده إلى شجيرة يتشبث بها حين سمع صوت هليكوبتر قادمًا من أعلى الجبل .. أفلتت يده ..

سقط عبر المنحدر .. وحاول التشبث بأقصى ما استطاع ..

- (روى) ! - صرخت (جيلان) : هلم .. تعال ..!

سال عرقه وحاول أن يمسك بشىء دون جدوى ..

- أرجوك يا (روى) !.. الهليكوبتر قادمة !

مدّ يده وحاول الإمساك بيدها ..

صوت الهليكوبتر يتعالى .. رات - آ - تات .. رات - آ - تات ..!.. العرق يغمر عينيه .. فقط بوصة واحدة تفصله عن قبضة (جيلان) .. و ...

أخيرًا أمسك يدها وثنى جذعه ليرتمى فوق حافة المنحدر ..

وهنا مرّت الطائرة فوق رأسيهما مبتعدة ..

لم ترهما لحسن الحظ .. ولم تطلق غازها المشئوم ..

وبعد ما استعادا تنفسهما عادا يزحفان على بطنيهما ليريا سر الضوء القادم من أسفل ......

- يا للسماء ..!

- يا إلهى الرحيم !!

★ ★ ★

ها هنا ينتهى دور الطبيعة ويبدأ دور الإنسان ..

بدا المشهد كمرفأ كونى عملاق صنعته يد الإنسان ..

أضواء هبوط تمت عبر الأفق .. ربما لخمسة أميال ، وفى المركز تتلاقى أضواء الممرات عند صليب عملاق يتلألأ ..

بدا لـ (نيرى) وكأنه مكان معدّ لهبوط شىء ما ..

وعلى جوانب المشهد تناثرت المئات من مصابيح (الاستاد) العملاقة على حواملها الصلبة ..

والقاعدة كلها محاطة بسور من الصلب ارتفاعه ستة أقدام ..

أما فى المنتصف فكان هناك مقياس صوت لونى طوله أربعون قدمًا وارتفاعه ستة ، يتصل بكابلات عديدة إلى جهاز (سنثسايزر) عملاق ..

همس (روى) فى ذهول :

- رأيت هذا ؟

- طبعًا ..

حمدًا لله !

تنهد (نيرى) شاعرًا بالرضا لأنه لا يهلوس .. أو - على الأقل - لا يهلوس وحده ..

ودون كلمة أخرى انحدرا إلى مستوى أقل ليريا بوضوح أكثر ما يدور تحتهما فى هذا (الاستاد) العجيب ..

كان هناك حشد من الرجال يعملون بأسفل مرتدين ثيابًا تشبه ثياب التمرين .. بعضها كتب عليه (لوكهيد) وبعضها كتب عليه (روكول) ..

بعض الأجهزة أجهزة (ليزر) .. بعضها أجهزة قياس حرارى وكهربى مغناطيسى .. وبعض محللات الطيف .. وأجهزة لا يعلم سوى الله فيم تستخدم ..

وحول القاعدة تناثرت أطباق الرادار تقوم بمسح الأفق بلا هوادة ..

أضف لهذا حوالى خمس وعشرين كاميرا فيديو .. وخمسين كاميرا ثابتة .. وحوالى ثلاثين مسئولًا عن تشغيل الكاميرات ..

وكانت آلات المشروبات الغازية وعربات المأكولات الخفيفة فى كل مكان ..

المثير هنا أن الحشد كان يرتدى المناظير السوداء بلا استثناء ..

وحول جهاز (السنثسايزر) تجمع أربعة من الرجال يحاول أحدهم - بإصبع واحدة - أن يعزف مقطوعة (نهر القمر) ..

فإذا بالفضاء يتجاوب بالأصوات ..

وتتلاعب الأضواء فوق اللوحة المضيئة معبرة عن المعادل الضوئى للنغمات ..

- هذا لا يُصدق .. لا يُصدق !

قالها (روى) وهو يتأمل المشهد ..

وهنا دوى صوت رزين من أسفل :

- أيها السيدات والسادة ....

كان هذا رجلًا يرتدى حلة بيضاء .. ممسكًا بمكبر صوت .. ماشيًا إلى منتصف الساحة :

- .. خذوا أماكنكم .. ليس هذا تدريبًا .. أكرر .. ليس هذا تدريبًا ..

هل يمكن خفض الأضواء على الحلبة إلى ٦٠ درجة ..؟

وهنا بدأت الأضواء تعتم تدريجيًا ..

والتمعت أضواء الهبوط ببطء شديد ..

أضواء حمراء ماضية نحو الأفق البعيد ..

- رائع !

صاح الرجل الذى بدا كمقدم حفل .. وأردف :

- لا يمكن لنا أن نطلب أمسية أكثر جمالًا .. هل استعد الجميع ؟

واستنتج (روى) أن هذه المراسم وكل هؤلاء العلماء والفنيين اعتادوا ممارسة هذه الطقوس كل ليلة على سبيل التدريب .. لكن دون نتائج ما ..

أما الليلة ....

ولاحظ أن أجهزة الرادار كفت كلها عن الدوران وتركزت نحوهما ..

لهثت (جيلان) وهى تلتصق بالأرض أكثر :

- إنهم ينظرون إلينا ..

- ليس إلينا .. بل إلى السماء .. انظرى !

★ ★ ★

شىء ما يبتدئ ..

فى البدء لم يعرف (روى) و (جيلان) كنهه ..

فقط كانا يرمقان الضياء فى (الاستاد) ثم حولا عينيهما إلى الظلام الدامس فوق رأسيهما ..

كان أول ما رأياه هو درب اللبانة ..

ثم أحسا أن النجوم تتحرك .. تتحرك ..

بالحقّ تتحرك .. وحركتها تزداد سرعة ..

ثم هو ذا شيء ما ينفصل عن حافة المجرة ..
لم تكن تلك نجومًا .. بل شيئًا آخر ..
وها هي ذي تشكل خطًا منحنيًا .. ثم ينغلق الخط مكونًا شكلًا مُعينًا ..
مشهد وعاء الدب الأكبر ...
كان (روى) يقهقه .. فلم يعد خائفًا .. هو سعيد إلى درجة لا توصف ..
وفى (الاستاد) وقف العلماء يرمقون المشهد كأنهم يشاهدون ألعابًا نارية مثيرة ، مطلقين العديد من الـ (واو) والـ (أوه) والـ (آه) .. ثم انفجروا فى تصفيق محموم ..
هتف (روى) مرتجفًا :
ـ نحن الوحيدان اللذان عرفا ذلك .. هل رأيت ؟
ـ نعم ..
ـ حمدًا لله !
وهنا ظهرت ثلاثة نجوم براقة عند السماء الغربية .. تحركت بسرعة .. ثم توقفت فوق الرءوس كأنما داست فراملها .. متحدية كل قوانين الجاذبية والطبيعة ..
ثم إنها دارت ١٨٠ درجة ، وانقسمت كل نقطة إلى أربع .. سرعان ما تناثرت فى الفضاء ..
كانت الحماسة قد بلغت مبلغ الجنون لدى المشاهدين ..


وهنا ظهرت ثلاثة نجوم راقة عند السماء الغربية .. تحركت بسرعة .. ثم توقفت فوق الرءوس كأنما داست فراملها ..

نظر لها (روى) .. وكالعادة سألها :

ـ أرأيت هذا ؟

ـ بالطبع ..

ـ حمدًا لله !

لم يكن العرض قد انتهى .. فى الواقع كان على وشك البدء ..

حلقت سحابة بريئة المنظر فوق القاعدة .. ترافقها ـ داخلها ـ بقعتان من الضوء الأزرق المتألق ..

ثم بدأت النقطتان تنفصلان .. وتدوران أسرع وأسرع حول السحابة التى بدأ شكلها يتغير .. وبدت كأنها مضاءة من الداخل ..

فى حين وقف واحد من الضوأين جوارها يتألق بلون عنبرى .. يضىء .. يطفئ ..

إنه عرض كونى ..

ولكن لأى شىء بالضبط ؟!..

ربما هو توضيح لمكان شمسنا من المجموعة الشمسية .. نعم ..!.. بالتأكيد هو كذلك ..

شىء مذهل ..!

ثم ....

أضواء ساطعة كالبرق تخرج من السحابة .. لكنها

ـ على عكس البرق ـ لا تتألق لحظة ثم تنطفىء .. بل هى دائمة !.. ثم ازداد الضوء تألقًا .. وخارجًا من السحابة .. برز لسان من الضوء البرتقالى واندفع بسرعة فوق رأسى (روى) و (جيلان) اللذين لم يكادا يجدا وقتًا كافيًا ليدفنا رأسيهما ..

إنه ذات الضوء الأحمر الشبيه بالغروب .. والضوء المتألق كفوانيس العيد .. ، الأضواء التى رأياها فى (انديانا) منذ ليال عديدة ..

أحدثت هذه الظواهر المذهلة إزاحة هائلة للهواء والحرارة وأطارت الغبار فى كل مكان ..

تطاير شعرهما فى كل صوب .. وانتصب الشعر فى صدر (روى) وذراعيه بفعل الكهرباء الاستاتيكية ..

وأفرغ الهواء من رئتيهما ..

كانت الأصوات مروعة جمدت الدم فى عروقهما ..

وأدرك (روى) أن هذه هى أصوات آلات الغرباء إذ تحرك سفنهم .. لكن إدراكه هذا لم يقلل من رعبه شيئًا ..

ووسط الدموع والغبار ، رأى (روى) و (جيلان) الأجسام العملاقة المتألقة تهبط وسط (الإستاد) ببطء شديد مالئة المكان بألوان الطيف المتراقصة ، ومرغمة العمال والعلماء على البحث عن غطاء يقيهم من الأتربة والزوابع التى أثارتها ..

لكن الأجسام لم تهبط ..

فقط حلقت حول الصليب المضىء الذى جُعل علامة للهبوط .. ثم توقفت كأنما هناك من داس فراملها .. ثم أخذت تحوم ببطء ..

بدأت تتخذ تشكيل مثلث .. على حين تتألق أضواؤها الملونة التى يستحيل النظر لها .. ولثوان كان يخيل لك أنها تستقر على الأرضية .. ولثوان أخرى تعلو إلى ارتفاع خمسة وعشرين قدمًا ..

كأنها تداعب الأرض .. تشمها .. تلعقها .. ثم تثب لأعلى وقد انتابها الذعر ..

واتسعت عينا (روى) ..

تمنى لو يهبط لأسفل ليرى .. لكن (جيلان) كانت خائفة تهاب الحركة ..

وفى الأسفل احتشد عدد من الفنيين حول جهاز (السنشايزر) كلهم يرتدون سماعات الأذن ويحملون فى أيديهم أقلامًا متصلة بكابلات طويلة ..

وارتفع صوت يقول فى رهبة :

- يا سادة .. ثلاثون عامًا من التخطيط والإعداد قد بلغت غايتها .. فلنمارس عملنا الآن .. والآن هل نبدأ ؟

فارتفع صوت فنى يقول :

- تى - سى ستريو .. الأوتو جاهز .. تحريف النغمة على تقاطع الموجات ..

- هيا بنا !

وأمام مفاتيح الجهاز جلس رجل يشبه فى ملامحه (شكسبير) .. كان غاية فى العصبية .. يتصبب عرقًا ويمسح عنقه وجبينه بمنديل طيلة الوقت ..

كان يعرف المسئولية الهائلة على عاتقه .. كل سنوات العرق والتخطيط تتوقف على النغمات الخمس التى سيعزفها الآن .. يجب أن يجيد عزفها ..

نظر الشاب الذى يقدم الحفل نحوه .. وهتف :

- والآن .. ابدأ بالنغمة ..

فعزف (شكسبير) النغمة الأولى ..

وتألقت على اللوحة الضوئية بقعة لون عنبرية سرعان ما خبت إذ تلاشت أصداء النغمة عبر الآفاق ..

- والآن نغمة أخرى أعلى ..

عزف (شكسبير) النغمة الثانية .. فتلألأت اللوحة باللون الأرجوانى ..

- نغمة ثالثة منخفضة ..

- ثم اهبط أوكتافًا ..

الآن صار اللون أزرق قاتمًا رائع الجمال ..
- ثم ارتفع قليلًا إلى النغمة الخامسة ..
اللون أحمر متألق .. ثم يخبو ببطء ..
غمغم قائد الفريق فى خيبة أمل :
- لا شىء .. لا شىء على الإطلاق ..
فأعاد (شكسبير) النغمات الخمس ومعها تألقت الأضواء ..
ولم يستجدّ شىء ..
لا استجابة من الأجسام الثلاثة ..
فقط ظلت كما هى تعلو وتهبط .. تتألق وتنطفىء ..
- أنكور ..!.. إين فوا ..
كان هذا صوت (لاكومب) الذى ظهر جوار الـ (سنثسايزر) طالبًا بالفرنسية أن يجرب (شكسبير) مرة أخرى ..
مرة أخرى تتردّد النغمات الخمس والأضواء معها ..
- بلوفيت .. بلوفيت ..(*)
ومن مكمنهما دندنت (جيلان) النغمات الخمس ، ودمعت عيناها .. هى تذكر هذه النغمات .. إنها أغنية (بارى) القديمة .. التى كان يعزفها على (الإكسليفون) ليلة اختفائه .. يا للعجب !
- بلوفيت (جان - كلود) .. بلوفيت ..!

(*) أسرع .. أسرع .

العرق ينثال على حاجبى (شكسبير) ويبلل ثيابه ومفاتيح الجهاز .. كان يعزف بأسرع ما استطاع الآن ..
النغمات تتردد عبر الجبل .. لكن دون جدوى ..
بدأ التوتر يخنق (لاكومب) .. ماذا تنتظر هذه الأجسام إذن ؟
(شكسبير) يعزف حتى ليوشك مخه على الانفجار ..
وألوان الطيف تتوالى على اللوحة المضيئة ..
وفجأة استجابت الأجسام !..
ليس بالصوت .. لكن باللون ..
بدأت تكرر الألوان التى تتراءى على الشاشة .. وحين توقف (شكسبير) أخيرًا عن العزف بدا للجميع أن الصمت كائن خرافى يُبعث من قبره وسط عويل الرياح ..
أشار (لاكومب) بإصبعه نحو (شكسبير) آمرًا :
- استمر .. لا تتوقف ..
وعادت النغمات تتردد ..
الرجال فى نشوة غامرة .. فى الواقع كانوا فى حالة لم تُسمَّ بعد .. وتفوق النشوة بكثير ..
إنه أول لقاء من النوع الثالث يتم أمام كل هذا الحشد .. وكل هذه الأجهزة .. ويتم بميعاد مسبق !..
وهنا ارتفعت الأجسام الثلاثة لأعلى ..

أحدها صعد لأعلى وتلاشى .. والآخران ابتعدا إلى جانبى الجبل وغابا فى سحابتين عملاقتين ..

لم يعد سوى همس الرياح .. والصمت ..

وفجأة شرع الكل يصرخ ويهلل ..

فقد العلماء وقارهم وأخذوا يتواثبون كأطفال .. يتبادلون العناق .. ويضرب بعضهم البعض على الظهور ..

لقد انتهى كل شيء على ما يبدو ..

صافح (لاكومب) (شكسبير) مهنئًا ..

إلا أنه فى نفس اللحظة بدأت أجهزة الرادار تضيء .. وعادت الأطباق تدور مركزة نظرها على السماء فوق (روى) و (جيلان) ..

كان هناك شيء ما يحدث ..

وفى (الاستاد) .. أشار أحد الرجال إلى أعلى وجذب (لاكومب) من كمه ليرى ....

كان عدد من السحب العملاقة يحتشد فى السماء فوق الجبل ..

وداخل السحب كان حشد من الأضواء البراقة .. حشد مروع .. يثير الرهبة ..

وتلقائيًا شعر (روى) و (جيلان) أن الوقت قد حان

لينزلا .. وليقفا وسط البشر الآخرين بعيدًا عن هذه الظواهر الغامضة .. ، تذكرت (جيلان) هذه السحابة وتلك الأضواء .. ففى مثلها اختفى (بارى) الصغير يومًا ما ...

ومن السحابة برز أحد الأجسام التى كانت هنا من قبل وحلق فوق أرضية (الاستاد) ، وأطلق ثلاث إشارات باللون الأحمر .. فتألقت إشارات مماثلة فى السحابة ..

ثم بدأ الغزو ..

انبعثت مئات الأضواء الدقيقة مشكلة ما يشبه الطائرات عجيبة الشكل والألوان .. وبدأت تؤدى حركات جوية معقدة ..

بدا من الواضح أن هذه الأجسام تملك قدرة هائلة على التوقف حين تريد .. قدرة تفوق كل قوانين الطبيعة ..

ولم يكن لها صوت خاص بها .. لكنها كانت تسبب إزاحة هواء هائلة مما يحدث زئيرًا كزئير الرعد ..

يا للأضواء !

يا للحرارة المنبعثة منها !

بعض هذه الأجسام بدا كشجيرات عيد ميلاد عملاقة .. وبعضها بدا كأنما وليد أفكار مهندس ديكور كونى موهوب ..

همس (نيرى) لـ (جيلان) :

- يجب أن أدنو أكثر !

- بالنسبة لى .. هذه المسافة كافية جدًا ..

وتبادلا الصمت والنظرات لوهلة ..

ثم فارقها (روى) بادئًا النزول الخطير المتعرج لأسفل ..

* * *

وحين وصل إلى منتصف المسافة ، لاحظ أن العرض قد انتهى .. وأن الأجسام قد حلقت غائبة فى الظلام ..

وفجأة التمعت مئات الأضواء من السحابة محيطة بدائرة قطرها عشرون ميلًا .. دائرة معتمة مظلمة لم يتضح شكلها ..

وازدادت الأمور غرابة ..

الصمت يسود (الاستاد) والإحساس بالإنهاك العاطفى من فرط ما رأوا من غرائب ..

(نيرى) قد وصل لأسفل وبدأ يجدّ السير نحو الساحة ..

وإذا بالدائرة المعتمة تقترب .. تقترب حاجبة القمر رامية ظلها على المكان ..

وخرّ (روى) على ركبتيه مذهولًا ..

كان الشيء فى حجم مدينة .. ربما فى حجم (إنديانا) .. لا .. لا .. أكبر .. ربما (ديترويت) ..

الأضواء تحيط بقمته .. والجسم نفسه يبدو صدئًا منهكًا .. كسفينة فضاء جابت السماء ملايين الأعوام ..

ومن الجسم انفجرت أضواء صغيرة منفصلة كأنها سرب من الذباب المضيء ، وأدرك الواقفون أن هذه الأشياء هى (قوارب إرشاد) ..

قوارب إرشاد تعين الجسم العملاق على الهبوط فى الرقعة المحددة له على أرض (الاستاد) ..

كان تأثير الجاذبية مروعًا ، وشعر كل إنسان أنه فقد نحو أربعين فى المائة من وزنه .. لكن هذا الشعور لم يكن بالمرة سيئًا ..

لكن (لاكومب) لم ينس فى غمرة المفاجآت أن يشير إلى طاقم العزف حول جهاز (السنثسايزر) ليبدءوا جولة جديدة ..

تساءل الشاب - الذى كان يقدم الحفل - متوجهًا للفنيين :

- هل المحلل السمعي جاهز ؟

هزّ الفنيون رءوسهم أن نعم ..

عندئذ همس الشاب فى مكبر الصوت :
- لو كان كل شىء على ما يُرام فى الجانب المظلم من القمر ؛ اعزفوا النغمات الخمس ..

وببطء عزف (شكسبير) النغمات الخمس ..

فلم يستجب الجسم العملاق ..

أمر (لاكومب) الرجل :

- أنكور !

وأعيدت النغمات فأصدر الجسم صوتًا غريبًا .. كصوت خنزير يلهث ..

- لا بد أنها أكلت ما سبب لها عسر الهضم ..!

قالها رئيس الطاقم فى عصبية وواصلوا عزف النغمات الخمس ..

وفجأة استكمل الجسم آخر نغمتين بنفسه !.. ضوضاء لا تصدق هشمت النوافذ الزجاجية وألقت بالكثيرين على الأرض ، لكن أحدًا لم يعبأ بهذا ..

- اعزفها ثانية ..

وفى هذه المرة أعاد الجسم النغمات وأضواء ملونة تلتمع على مقدمته .. عنبرية .. أرجوانية .. زرقاء .. خضراء .. حمراء ..

ثم بدأت السفينة الأم تأتى بنغمات أخرى قلدها (شكسبير) .. وبالتدريج زادت سرعة العزف فتخلى (شكسبير) عن مهمته تاركًا الكمبيوتر يتولاها ..

ولقد شرع هذا الأخير يمارس عمله بنجاح ساحق .. ، وبدت هذه لحظات كونية تضافر فيها الصوت والضوء لصنع معجزة ..

ما أغربها موسيقا !..

ثم ساد الصمت بضع دقائق ..

الصمت والظلام ...

وفجأة انفتح الجسم - السفينة الأم - كاشفًا عن دائرة صغيرة من الضوء الساطع .. سرعان ما صارت ممرًا ضوئيًا باهرًا ..

وبرغم المناظير السوداء كان من المستحيل النظر للداخل ..

الفتحة تتسع أكثر .. والضوء يتزايد أكثر ..

على أن (لاكومب) تخيل للحظة وجود حركة بالداخل من النافذة أو الباب المفتوح ..

وتبدت ثمانية أشكال غير آدمية بالتأكيد (لأن الضوء أضاع أكثر حدود أجسادهم فبدوا نحيلين للغاية) .. خرجت من دائرة الضوء الباهر .. فسار (لاكومب) نحوها ..

وهنا أدرك أن هذه الأشكال بشر حقيقيون ..

كانوا يرتدون ثياب سلاح الطيران فى الأربعينات .. كلهم مصابون بذهول تام .. وكلهم صغيرو السن يحملون خوذاتهم فى أيديهم ..

ورفع أولهم يده محييًا (لاكومب) .. وهتف :

- ملازم (فرانك تايلور) .. احتياطى - أسطول الولايات المتحدة - ٦٤١٩٩

- مرحبًا بعودتك أيها الملازم إلى الوطن ..

وتوالت الأسماء :

- (هارى وورد كريج) - كابتن - أسطول الولايات المتحدة - ٤٣٤٣١

- (ماتيو ماكميشيل) .. ملازم .. احتياطى - ٩٠٩٤١١

وكان هناك رجل يمسك بلوحة عليها صور وأسماء ويلصق شرائط على صورة كل من يجد اسمه عنده .. كل هؤلاء من الرحلة (١٩) التى أقلعت من (بنزاكولا) فى (مايو) ١٩٤٨ واختفت تمامًا .. والتى بدأت قصتنا بالعثور على طائراتهم سليمة فى صحراء (المكسيك) ..

هتف أحد الفنيين :

- يا للسماء !.. هم حتى لم يشيخوا .. لقد كان (أينشتاين) محقًّا ! (★)

- من يدرى ؟.. ربما كان هو نفسه واحدًا منهم !

فى هذه اللحظة كان أكثر من مائتى عائد قد غادروا السفينة الأم ، وكان فريق من الفنيين والعسكريين والأطباء ينقلونهم فورًا إلى غرف خاصة معدة مسبقًا ..

وهنا لمح (روى) خيال شخص قصير القامة يبلغ طوله حوالى ثلاثة أقدام خارجًا من دائرة الضوء ، ولمح (جيلان) تركض كالملسوعة نحوه ..

إنه (بارى) !

كانت (جيلان) قد هبطت إلى (الإستاد) منذ قليل .. وكانت الآن تبكى وتضحك وتعتصر الصغير فى جنون ..

دنا (روى) من (لاكومب) .. فما إن رآه الأخير حتى بدا عليه الرضا لأن (روى) فرّ من الجيش ووصل هنا .. على كل حال لم يعد أحد يجد وقتًا ولا سعة صدر كى يهتم بهذا الأخير فى هذه الظروف ..

- ماذا تريد يا مسيو (نيرى) ؟

- أريد فهم ما يحدث هنا ..

(★) يقصد نظرية (أينشتاين) الخاصة بالتتابع النسبى للزمن ، وهى نظرية محببة جدًا لدى كتاب الخيال العلمى .

نظر له (لاكومب) فى صمت .. ثم تركه وسار إلى حيث وقف (لوفلين) مع عدد من ضباط عملية (زهرة مايو) .. وقال بالفرنسية :

ـ يا سادة .. نحن بحاجة إلى الحديث عن موقف السيد (نيرى) ..

وبدأت مناقشة حامية ..

ترجم (لوفلين) ما يقول الفرنسى :

ـ إن هؤلاء أناس عاديون وقعوا فى ظروف غير عادية .. هجروا وظائفهم وعائلاتهم وقطعوا كل هذا الطريق إلى هنا بعد أن تملكهم وسواس هذا الجبل .. والآن أرى أن يصير السيد (نيرى) فورًا جزءًا من هذا المشروع ..

قال أحد الضباط :

ـ لكن رجالنا تدربوا سبعة وتسعين شهرًا من أجل هذه اللحظة ، فكيف تتوقع أن يجتاز (روى) هذه الثغرة ؟.. كيف يتكيف ؟

كانت فتحة السفينة تنغلق ببطء .. ببطء ..

وهتف (بارى) الصغير من بين ذراعى أمه :

ـ وداعًا .. وداعًا ..

فى ذات اللحظة هرع (لاكومب) نحو (روى) وصافحه.

ـ مسيو (نيرى) .. إننى أحسدك ..

ومن خلال فرجة الضوء الساطع تبدى شيئان .. بل ثلاثة ..

كان طول الواحد من هذه الأشياء تسعة أقدام .. وكان نحيلًا إلى حدّ مفزع حتى أنك لا تصدق احتواءه على أحشاء ..

لكنهم ـ على الأقل ـ بدوا كالبشر لأنهم يتحركون على ما يشبه الأقدام ويلوحون بما يشبه الأذرع ..

حملت (جيلان) ابنها المحتجّ وهرعت جارية للوراء .. فهى لم ترد أن تجازف مرة أخرى بعد أن استردته ..

والغرباء يتألقون بالنور .. يلوحون بأذرعتهم حيث وقفوا هناك ..

(لاكومب) يقتاد (روى) وأحد الضباط إلى إحدى الغرف الجانبية ..

الضابط يسأل (روى) :

ـ قيل لى يا سيد (نيرى) إن لى أن أثق بتعاونك .. ما فصيلة دمك ؟

ـ لا أعرف .

ـ متى ولدت ؟

ـ ٤ ديسمبر ١٩٤٧

ـ هل سبق تطعيمك ضد الجدرى ؟.. هل يعانى واحد من أسرتك من مرض الكبد ؟

وشرع (روى) يرتدى ثياب فضاء حمراء اللون .. ووقع على إقرار أنه قد شارك فى مشروع (زهرة مايو) بكامل إرادته ودون إرغام ..

لم لا ؟..

لم يعد هناك ما يربطه بالأرض .. وهو حقًا راغب فى أن يعرف أكثر ..

فى ذات اللحظة كانت (جيلان) تلتقط صورًا للمشهد ، على حين دفن (بارى) الصغير رأسه فى بطنها وشرع يحكى لها عن أصدقائه الواقفين بالأسفل .. كان يضحك .. يضحك ..

وفى إحدى الغرف جلس رواد الفضاء الاثنا عشر يصغون لموعظة القس التى يمهدهم روحيًا بها للرحيل مع الغرباء ..

كانوا خائفين .. برغم السبعة والتسعين شهرًا من التدريب ظلوا ـ وهذا حقهم ـ يحسون الرهبة ..

ثم تحرك الموكب قاصدًا السفينة ..

رجال الفضاء يغوصون فى دائرة الضوء الساطع بداخل السفينة الأم ..

ومعهم (روى نيرى) ..

وهنا برز أحد الكائنات من فرجة الضوء ولوّح بذراعه للحشود المحيطة .. لثوان تبينوا وجهه العجيب المتبدّل بين الحالة الجنينية والشيخوخة المروعة ..

ثم انغلق الباب ..

وبدأت السفينة ترتفع وسط ملحمة الأنوار لأعلى .. والأضواء الصغيرة تحوم حولها مرارًا ..

ثم إن الضوء الأحمر ـ قطعة الآيس كريم ـ دار حول السفينة ..

وتلاشيا بين طبقات السحاب الكثيفة ..

★ ★ ★

لا يدرى (روى) فى تلك اللحظات الرهيبة لماذا تذكر أغنية من فيلم (بينوكيو) تقول كلماتها :

حين ترى نجمًا وتتمنى أمنية ..

فلا يهم من تكون ..

لأن ما تتمناه ستناله ..

لو أنك تمنيت بإخلاص ..

فلا أمنية مستحيلة ..

لأن المستقبل سينظر لك باهتمام ..

حين ترى نجمًا وتتمنى أمنية ..

★ ★ ★

[تمت بحمد الله]

روايات عالمية للجيب

مكتبة متكاملة
لأشهر الروايات العالمية

لقاءات من النوع الثالث

لقاءات قريبة من النوع الأول : رؤية جسم طائر مجهول الهوية .

لقاءات قريبة من النوع الثانى : رؤية آثار مادية مؤكدة لهذا الجسم .

لقاءات قريبة من النوع الثالث : حدوث لقاء فعلى بين ركاب الجسم الطائر وبين البشر ..!

من يدرى ؟.. لربما كنت أنت طرفًا فى اللقاء القادم !.. لهذا ندعوك – على سبيل الاحتياط – إلى قراءة هذه القصة الممتعة .

10

العدد القادم

وجاء العنكبوت ..!



الثمن فى مصر [illegible]
وما يعادله [illegible] دولار الأمريكى
فى سائر الدول العربية والعالم